أجاثا كريستي

١٢

الرسائل السوداء



اجاثا كريستي

الرسائل السوداء

ترجمة / محمد عبد المنعم جلال

مكتبة معروف إخوان
اسكندرية ـ ٤ ش سعد زغلول ـ ت ٨٠١ـ٨٣٨٨
القاهرة ـ ٤٣ ب ش رمسيس ـ ت ٥٧٤٣٦١١

□ غلاف وإشراف فنى
إيهاب التركى

□ إخراج فنى
منى سليم

الموزعون
بالمملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض

الفصل الأول

١

لن أنسى أبدا ذلك اليوم الذى جاءتنى فيه الرسالة الأولى ، قد جاءتنى أثناء تناول الافطار ، ورحت أقلبها وأقلبها فى غير اكتراث ، وفى بطء ، كما يفعل المرء الآمن المطمئن الذى لا يتعجله أي عمل . وقد تحققت انها مرسلة من نفس البلد ، وان العنوان مكتوب على الآلة الكاتبة ، وفضضتها قبل الرسالتين الأخريين اللتين تحملان خاتم بريد لندن ، لأننى خمنت أن فى أحداهما فاتورة ، وعرفت فى الأخرى خط ابن عمى .

وقد دهشت أنا وجوانا أشد الدهشة من هذه الرسالة وطربنا لها كثيرا ، وما كان فى مقدورنا أن ندرك أنها كانت مقدمة لأحداث مفجعة ومآس دامية ، بعواقبها العنيفة وشكوكها ومخاوفها . وما كان ليخطر ببالنا أن كل هذه الأحداث كان يمكن أن تقع فى ليمستوك ، ولكن أرى اننى أسأت البداية لأنه كان يجب أن أتكلم عن ليمستوك أولا ، فاننى حين أصبت فى حادث تلك الطائرة ، خشيت وقتا طويلا أن يكون قد قدر لى البقاء عاجزا حتى آخر يوم فى حياتى ، وذلك على الرغم من أقوال الأطباء والممرضة التى تدعو الى الاطمئنان .

ثم جاء يوم أزالوا الجبس عن أطرافى . ورحت أعالج المشى فى حرص وحذر . وأخيرا ، ربت ماركوس كنت ،طبيبى ، على كتفى وقال أن كل شئ على ما يرام ، واننى شفيت تماما ، وأردف يقول :

- كل ما أنت بحاجة اليه الآن هو الهواء النقى وحياة هادئة وراحة تامة ... دع أختك تهتم بك . كل ونم وحاول ، بقدر ما تستطيع ، أن تعيش كما يعيش كل نباتى.

ولم أسأله اذا كان في مقدوري أن أحلق في الجو من جديد ، لأن هناك أسئلة لا يجب أن يلقيها المرء خوفا من أن يأتيه الرد عليها بما لا يحب ، كما انني لم أسأله ، طوال الشهور الخمسة الماضية ، اذا كان قد كتب على البقاء ممددا على ظهرى حتى آخر يوم فى حياتى ، فقد كنت أخشى أن تمكر بى الممرضة وترد على قائلة مثلا " وما الداعى لمثل هذه الأسئلة السخيفة ؟ اننا لا نستطيع أن نترك مرضانا يتكلمون هكذا ".

ولهذا لم أسأل شيئا . ومع ذلك فقد مرت الأمور على أحسن ما يكون . ولم يقدر لى أن أبقى عاجزا ، وأصبح فى مقدورى أن أقف على ساقى وأن أمشى . وأخذت اترنح فى البداية كالطفل الصغير وهو يتعلم المشى ، فقد كانت ساقاى ضعيفتين واهنتين ، ولكن لم يلبث هذا الضعف أن تلاشى سريعا .

وقد رد ماركوس كنت ، وهو طبيب قدير حقا ، على السؤال الذى لم أجرؤ على أن ألقيه عليه فقال :

- سوف تبرأ تماما . لم أكن واثقا من ذلك حتى الأيام الأخيرة ، ولكن الفحص الذى أجريناه عليك يوم الثلاثاء الماضى يسمح لى أن أقول لك ذلك . غير أن الأمر سيطول بك ، ولابد لك من الصبر والارادة . لا تحاول أن تتعجل ، والا وجدت نفسك طريح الفراش فى احدى المستشفيات . عالج أعصابك فقد أرهقتها العقاقير والمخدرات التى جرعناها لك ، ولهذا أنصحك بأن تذهب الى الريف وأن تقيم هناك وأن تهتم بالسياسة المحلية ، وبفضائح القرية ، اهتم بجيرانك فان هذا سوف يعود عليك بكل الخير ، واذا أردت أن تعمل بنصيحتى فاذهب الى مكان لا تعرف فيه أحدا على الاطلاق .

وأجبته بأن هذه هى نيتى فى الواقع . لأن أبغض شئ الى نفسى هو أن يختصنى الناس برثائهم وشفقتهم ، لا لشئ الا لكى يبثونى همومهم وأشجانهم .

وهكذا وقع اختيارنا ، أنا وجوانا ، صدفة ، من بين المنازل التى عرضها

السماسرة علينا على بيت معروف باسم " ليتل فورز " بليمستوك ، وهى قرية لم يسبق لنا الاقامة فيها ، ولا نعرف فيها أحدا .

وكان البيت وفق ما نتمنى تماما ، فقد كان بيتا صغيرا أبيض مشيدا على حافة الطريق ، على بعد نصف ميل تقريبا من ليمستوك ، تطل نوافذه على أراض تغطيها أشجار من الفصيلة الخلنجية ، وترى العين على يساره قبة جرس كنيسة ليمستوك ، وكان ملكا فيما سبق لفتاتين عانستين بقيت صغراهما على قيد الحياة ، وتدعى مس اميلى بارتون .

وكانت هذه الأخيرة امرأة قصيرة القامة ، مسنة وظريفة ، وكانت شديدة التعلق ببيتها ، لها صوت رخيم ... قالت لجوانا ، وكانت قد ذهبت لمقابلتها وحدها ، انها لم يسبق لها أن عرضت " ليتل فورز " للايجار قبل ذلك أبدا .. وانها ما كانت لتفعل ذلك لولا أن الظروف هى التى أرغمتها ، وأردفت تقول :

ان الأمور تغيرت ، وارتفعت تكاليف الحياة وزادت الضرائب ، ان لدى الاسهم والسندات طبعا ، وهى مضمونة ، ولكنها أصبحت لا تدر شيئا تقريبا . كل هذا قد جعل الحياة صعبة بالنسبة لى ، واذا كنت أقول ذلك فلأننى أرى أنك تفهمين لأنه لم يكن يطيب لى أن أؤجر بيتى لأناس أغراب . ولكن للضرورة أحكامها . ومهما يكن فانه يسرنى أن أؤجره لك أنت ، وأن تقيم به فتاة فى عنفوان الشباب مثلك ، لأننى لا أشعر بأى ارتياح اذا ما أقام به رجل .

وعندما بلغ الحديث هذا الحد اضطرت جوانا أن تحدثها عنى . وتحملت مس اميلى الصدمة بلباقة وقالت :

- انه ليحزننى أن أسمع هذا حقا ... حادث طائرة ! ... ان شباب اليوم بواسل حقا ... اذن فأخوك عاجز .

ويبدو أن هذا الخاطر قد شد من عزيمتها ، ولا ريب أن تحركاتى ، بصفتى عاجزا

بدت لها أقل أزعاجا مما لو كنت سليما . واستفهمت من أختى . فى شئ من الخجل اذا كنت أدخن فأجابتها جوانا .

- كما لو كان مدخنة وأنا أيضا

قالت العانس العجوز

طبعا . ما أغبانى إد ألقى عليك هذا السؤال ولكن ماذا تريدين ؟ اننى لم اساير الزمن ... كانت أخواتى أكبر منى ، وعاشت أمى المسكينة حتى بلغت السابعة والتسعين من عمرها . وكانت قاسية جدا ولكن الجميع يدخنون اليوم طبعا ليس بالبيت منافض .

أخبرتها أختى بأنها ستشترى كمية منها وأردفت تقول بابتسامة

- واعدك باننا لن نلقى بالأعقاب فوق المفروشات فأننى أبغض هذا كل البغض

وتم الاتفاق أخيرا . وأجرنا البيت لمدة ستة شهور قابلة للتجديد لمدة ثلاثة شهور بعد ذلك . اذا رأى الطرفان . وقررت اميلى بارتون أن تنتقل للاقامة فى غرفتين أجرتهما لها خادمة قديمة كانت تعمل لديها . وقالت تحدث جوانا :

- أنها تدعى فلورنس ، وقد تزوجت بعد أن قضت فى خدمتى خمسة عشر عاما . وهى فتاة ظريفة ، شديدة الاخلاص لنا ، وزوجها يشتغل فى البناء ، ولهما بيت جميل فى هاى ستريت . وقد أجرت لى غرفتين فى الطابق الأخير .

وهكذا سويت الأمور ، وتم الاتفاق على أن تبقى مارى بارتريدج ، خادمة اميلى بارتون معنا ، وأن تقوم بخدمتنا ، هى وفتاة كانت تأتى لمساعدتها كل صباح وكانت مارى امرأة ناضجة ، طويلة القامة نحيلة الجسم ، تجيد الطهى

وكان قد مضى علينا بالبيت ثمانية أيام عندما مرت مسز بارتون وتركت بطاقتها وحذت مسز سيمنجتون ، زوجة المحامى حذوها . ثم الأنسة جريفيث ، أخت طبيب القرية . ومدام دين كالثروب ، زوجة القسيس ، ومستر باى ، صاحب بيت بريورز اند

ودهشت جوانا لذلك وقالت :

- لم أكن أعرف أن الناس يتركون بطاقاتهم بقصد الزيارة .

أجبتها : ذلك لأنك لا تعرفين شيئا عن حياة الريف .

صاحت : هل تمزح ؟ ... بعد عطلات نهاية الاسبوع التى قضيتها عند الأصدقاء ؟

- هذا شئ آخر .

وأنا أكبر من جوانا بخمس سنين . واتذكر تماما اننى كنت ، وأنا طفل ، أمرح فى الحديقة التى كانت تحيط ببيت أبوى الريفى . وأذكر اننى كنت اختبئ خلف اشجار الفراولة التى كان البستانى يراقبها عن كثب ، وما زلت أشم رائحة الاسطبل ، ويخيل لى اننى مازلت أسمع صهيل الجياد . وكنت فى السابعة من عمرى عندئذ . ولم تكن جوانا قد تجاوزت الثانية من عمرها بعد ، حين انتقلنا للاقامة فى لندن بصفة نهائية .

كنت أفكر فى كل هذا . وفى الاصابة التى ارغمتنى على الانتقال الى الريف . وقلت لجوانا اننى أخشى أن تمل هذه الحياة سريعا وأردفت أقول :

- لأن هناك أشيـاءكثيرة سوف تفتقدينها .

ذلك لأننى كنت أعرف جوانا ، فقد كانت جميلة،ومرحة ، تحب الرقص ، وشديدة الشغف بقيادة السيارات ، ولا تكره غزل الرجال .

وضحكت عندئذ وقالت اننى مخطئ فى خوفى هذا واستطردت :

- والواقع اننى مسرورة لهذا التغيير ، فقد سئمت كل الناس الذين أعرفهم . ثم أن بول أحزننى كثيرا ، ولابد لى من فترة من الوقت لكى أنساه .

وتقبلت قولها هذا فى شئ من الشك ، فان مغامرات جوانا الغرامية تتطور حسب الظروف ، فكانت تقع من وقت لآخر فى غرام شاب طائش تظنه نابغة لا يقدره الناس حق قدره ، فتصغى اليه ساعات وساعات ، وتتعارك بعد ذلك لكى يعترف الناس

بموهبته ، ثم لا تلبث أن يتكشف لها عقوق بطلها ، فتقول عندئذ أن قلبها قد تحطم . وهو موقف مؤلم يمتد الى أن يظهر شاب آخر غير مقدر ، أى بعد ثلاثة أسابيع فى المتوسط .

واستطردت جوانا تقول :

- اننى اعترف على كل حال بأننى اندمجت فى حياة الريف ... اننى غدوت كأية امرأة ريفية الآن .

ونظرت اليها منتقدا ، ولم يسعنى الا أن أقول اننى لا أوافقها ، فقد كانت ترتدى ثوبا رياضيا قصير الكمين ويبرز مفاتنها ، وزوجا من الجوارب الحريرية وحذاء براقا . وقلت :

- كلا . ان ثيابك بعيدة كل البعد عن الثياب الريفية ، فقد كان يجب أن ترتدى جونلة طويلة من التويد باهتة اللون وجاكيت واسعة طويلة الكمين وزوجا من الجوارب الصوفية وحذاء ضخما . عندئذ فقط تبدين كأنك من أهالى ليمستوك حقا .

وأردفت أقول بعد سكتة قصيرة :

- ثم انك تستعملين الماكياج بطريقة صارخة ، وقد كان الأولى بك أن تضعى فوق أنفك مسحة خفيفة من البودرة ، وعلى شفتيك لمسة من الأحمر ، وان تتركى حاجبيك بدلا من أزالة ثلاثة ارباعهما تقريبا .

قالت فى شئ من الطرب :

- أتظن اذن أنهم سيجدوننى دميمة هكذا ؟

- كلا . وانما سيستغربون أمرك .

وراحت تفحص البطاقات التى تركها الزوار الذين كان من سوء حظهم جميعا ، فيما عدا زوجة القسيس ، انهم جاءوا وجوانا غير موجودة . وقالت :

- يخامرنى احساس بأننا هبطنا قرية سعيدة ... زوجة المحامى وأخت الطبيب ...

يبدو أن الجميع هنا متآلفون ، ولا أظن أنه يمكن أن يقع فى هذه القرية ما يكدر .

وكان قولها هذا سخيفا طبعا ، ولكننى لم أشأ أن أصرح لها بذلك . ووافقتها على أن أهالى قرية ليمستوك لا ريب قوم سعداء . وانه لما يدعو الى الطرب اننا تسلمنا الخطاب الأول بعد ذلك بثمانية أيام .



أرى اننى أسأت البداية ، كما قلت ، فلم أصف ليمستوك ، واذا لم أسد هذه الثغرة فسوف تبقى قصتى مبهمة غير مفهومة . وأول نقطة تسترعى النظر هى أن لليمستوك هذه ماضيا وماضيامشهورا ، فقد لعبت دورا كبيرا أثناء الغزو النورمندى ، اذ كان يقع فيها دير يشرف على ادارته رهبان أقوياء صالحون ، فقد راح الاقطاعيون والنبلاء يسوون أمورهم مع السماء بتقديم الأراضى لرجال الدين بحيث أصبح هؤلاء قوة لا يستهان بها . ولكن لم يلبث أن تغير بهم الحال فى عهد الملك هنرى الثامن فانتقل الدير الى المرتبة الثانية ، وظلت المدينة تعرف الرواج حتى القرن السابع عشر فتخلف عنها التقدم ، وتجاهلتها السكك الحديدية ، وفقدت أهميتها ، ولم تعد أكثر من مركز لا ينتعش الا أيام السوق ... بلدة صغيرة ضائعة فى قلب الريف الانجليزى .

وكان السوق يقام مرة كل اسبوع . وفى هذا اليوم ترى فى كل مكان قطعانا من الأغنام تساق الى المدينة ، والنشاط التجارى للبلد كان يتركز فى شارع هاى ستريت ، وهو شارع جميل تصطف فيه البيوت بطريقة محببة الي النفس ، تجد فيه محلا للبقالة ، ومحلا للقماش ومحلا كبيرا للخردوات ، وآخرين للجزارة ومتاجر كثيرة أخرى ، ومكتبا للبريد . وفى ليمستوك أيضا طبيب ومحام يدعى سيمنجتون ، وكنيسة جميلة يرجع بها العهد الى القرن الرابع عشر ، ومدرسة حديثة البناء ومقهيان .

وبفضل مس اميلي بارتون زارتنا جميع الشخصيات المعروفة بليمستوك ، ولم يبق علينا الا أن نرد لهم الزيارة . واستعدت جوانا لذلك بأن اشترت زوجا من القفازات واستبدلت طاقيتها القطيفة بقبعة جديدة .

وقد أطربتنا هذه الزيارات التي رحنا نستعد لها ، فاننا لم نأت الى ليمستوك للاقامة فيها الى الأبد ، وانما لقضاء فترة من الوقت ريثما أسترد صحتي ، وكان يجب أن أهتم بجيراني ، وقد قال لي طبيبي ماركوس كنت أنه لا يجب أن أهمل فضائح البلد ، ولم يكن يشك طبعا فيما ينتظرني .

والغريب أن الخطاب ، عندما تسلمناه ، أطربنا كل الطرب .

واتذكر أنه جاءني ونحن نتناول طعام الافطار ، وأخذت أقلبه وأقلبه بين يدى في غير اكتراث ، وفي بطء كما سبق أن قلت ، ولا حظت أنه مرسل من ليمستوك نفسها . وكان العنوان مكتوبا على الآلة الكاتبة . وفضضت الظرف ولم أجد بداخله الا ورقة ألصقت عليها بعض الكلمات المقطوعة من احدى الجرائد . وكان خطابا غريبا نظرت اليه لحظة وأنا لا أفهم .

وكانت جوانا تفحص فواتيرها ، ولحظت دهشتي فقالت :

- ما الخبر ؟

قلت : - انه خطاب غفل عن الامضاء وبغيض جدا .

والحق أن الخطاب أصابني بصدمة عنيفة ، فلم أكن انتظر شيئا كهذا في قرية نائية كليمستوك . وصاحت جوانا وقد بدا عليها الاهتمام على الفور :

- حقا ... وماذا يقول ؟

وقد قرأت روايات كثيرة ، ولاحظت فيها أن الخطابات التي تأتي من مجهول ولا تحمل توقيعا لا تعرض على السيدات بقدر المستطاع ، وذلك خوفا على مشاعرهن واحساساتهن . ولكن يؤسفني أن أعترف أن هذه الفكرة لم تخطر لي ، وانني لم أتردد

لحظة واحدة ، ودفعت بالخطاب الى جوانا . ويجب أن أقول أنها قرأته دون أن يظهر عليها أي انفعال ، وقالت أخيرا فى شئ من الطرب :

حسنا يا لها من كلمات بذيئة ظريفة . طالما سمعت عن الخطابات المجهولة ، ولكن لم يسبق لى أن رأيت واحدا منها . أهى دائما بهذا الاسلوب ؟

أجبت : - لا أدرى . فهذه أول مرة يأتينى فيها خطاب من مجهول .

وعادت جوانا تقول :

- لاريب أنك كنت على حق عندما تكلمت عن المكياج الذى استخدمه ، ولا ريب أن أهالى القرية مقتنعون بأننى لست أختك .

قلت : - على الأرجح . ولا تنسى أن ابانا كان رجلا طويل القامة واسمر البشرة ، فى حين كانت أمنا شقراء قصيرة القامة ، واننى أشبه أبى فى حين انك تشبهين أمنا .

هذا صحيح ... ليس بيننا أى شبه ، ومن يرانا لا يظن أبدا اننا شقيقان .

هناك شخص على كل حال مقتنع بأننا لسنا كذلك .

وأمسكت جوانا الخطاب باصبعين فى مرح ، وسألتنى ماذا أفعل به فقلت فى اشمئزاز :

- أظن أن أوفق شئ هو أن نلقى به فى النيران .

وألقت به فى نار المدفأة ثم نهضت ومضت الى النافذة ، وقالت بعد لحظة :

- اننى اتساءل من الذى كتب هذه الرسالة ؟

- من الجائز اننا لن نعرف ذلك أبدا .

- هذا جائز حقا .

وأردفت تقول بعد صمت قصير :

اذا أردت الحق فان هذا الخطاب قدضايقنى كثيرا ، فقد حسبت أن الأهالى هنا اعتادوا علينا ، وأنهم يميلون الينا .

أسرعت أقول :

- وهذا صحيح . ولكن كاتب هذا الخطاب مجنون ، وليس هناك ما يدعو الى القلق .

- أرجو ذلك ... هذا عمل بغيض على كل حال .

وخرجت لتستمتع بقليل من الشمس ، وأشعلت أنا سيجارة وأنا أقول أنها على حق ، فقد كان هذا العمل بغيضا ، وأن دل على شئ فانما يدل على أن هناك شخصا لا تروق له اقامتنا فى ليمستوك.. شخص ... رجل أو امرأة يحسد جوانا على شبابها ومرحها وجمالها ويحاول أن يلحق بنا الضرر . ومن الأوفق أن نطرح هذا الأمر عن بالنا ألا نكترث له . ولكن لم يكن ذلك سهلا .

وكان الدكتور جريفيث يفحصنى مرة كل اسبوع ، وقد أقبل فى ذلك الصباح وكان رجلا ظريفا ... ولكنه كان أخرق وخجولا . وأبدى ارتياحه التام بصحتى ، ولكن فى شئ من التحفظ ، وأردف يقول :

- يخيل لى أن هناك ما يقلقك ... لأننى أراك اليوم على غير عادتك .

قلت : - ذلك انه جاءنى اليوم خطاب من مجهول بذئ جدا ..وأنه لأمر بغيض . ...

تجهم وجهه ، وافلتت حقيبته منه وقال :

- هل جاءك خطاب أنت أيضا ؟

- وهل تلقى آخرون خطابات من مجهول ؟

- نعم . منذ بضعة أيام .

قلت :

- آه ... ظننت أن هذا الخطاب جاءنى لأن أقامتنا هنا لا تروق لشخص ما .

قال جريفيث :

- أبدا ... وماذا يقول الخطاب ؟

ولكن لم يلبث أن علت وجهه حمرة الخجل وقال فى شئ من الضيق :

- معذرة ... ما كان يجب أن ألقى هذا السؤال طبعا .

أسرعت اطمئنه قائلا :

- ليست هناك أية أهمية . أن مرسل الخطاب يقول انه يعرف تماما أن الفتاة التى تستعمل الماكياج بطريقة صارخة والتى أتيت بها معى ليست أختى ، وهذا وصف مخفف جدا لمضمون الخطاب .

صاح وقد ارتسمت على وجهه امارات الاشمئزاز :

- يا للعار ! أرجو ألا تكون أختك قد اكترثت بهذه الرسالة البغيضة .

- اطمئن ... ان جوانا عصرية وجديرة بأن تتحمل كل شئ . لقد اطربتها المسألة كثيرا ، فهذه أول مرة يسبونها فى خطاب مجهول . وماذا كان بوسعها أن تفعل غير هذا ازاء هذه الاتهامات المضحكة ؟

- هذا صحيح .. ولكن ..المزعج مع الخطابات المجهولة أنها وباء سريع الانتشار .

وساد صمت ، وقلت : أليست لديك أية فكرة عمن يمكن أن يكون قد كتب هذه الخطابات ؟

- كلا ، لسوء الحظ .

وفكر بضع لحظات ثم استطرد يقول : عندما ينتشر مرض الخطابات المجهولة فى كل مكان ما فان أول ما يجب عمله هو أن نحاول معرفة طبيعته . واذا أرسلت الخطابات المذكورة الى شخص واحد أو الى مجموعة معينة من الأشخاص فيمكن أن نستخلص من ذلك أن مرسلها شخص يحقد عليهم ، وأنه يروى غليله بهذه الطريقة البغيضة . وفى هذه الحالة فان مرسل الخطابات يكون شخصا مجنونا ، ومن السهل الاهتداء اليه ، وهو عادة يكون اما خادما مطرودا أو امرأة حاقدة . ولكن اذا أرسلت الخطابات الى عدد محدود من الأشخاص المعنيين ، فان المسألة تكون عندئذ على جانب

كبير من الخطورة . وكاتب الخطابات فى هذه الحالة لا يكون لديه ما يدعوه الى الحقد أو الضغينة عليهم ، وهو على هذا إما أن يكون مجنونا أو مريضا ، واذا ما اكتشفوا أمره وغالبا ما يكون هذا بالشئ العسير ، يتضح أنه شخص بعيد عن الشبهات وأنهم ما كانوا ليشكوا فيه على الاطلاق . وقد وقعت حالة كهذه فى العام الماضى فى الاقليم المجاور ، وكانت كاتبة الخطابات فتاة محترمة ومهذبة،كانت تشرف منذ وقت طويل جدا على ادارة قسم أدوات التجميل فى أحد المحلات الكبرى . وأخشى أن نكون فى بداية مسألة مماثلة ، وأعترف أن الأمر يخيفنى كل الخوف .

- وهل بدأ وباء هذه الخطابات منذ وقت طويل ؟

أجاب جريفيث : لا أظن . ولكن من العسير أن نعرف ذلك لأن الأشخاص الذين يتسلمون مثل هذه الخطابات لا يذيعون ذلك على الملأ ، ويكتفون بالقائها فى النار ، ولا يتحدثون عنها بعد ذلك .

وأمسك بضع لحظات ثم استرسل يقول : وقد جاءنى واحد منها . والمحامى سيمنجتون كذلك،وبعض المرضى الذين أعالجهم . وقد اتهم صاحبنا سيمنجتون بأن له علاقة آثمة مع سكرتيرته ، مس جينسن المسكينة ، مع أنها تجاوزت الأربعين ، وتلبس نظارة سميكة ، ولها أسنان كأسنان الأرنب ، وبعيدة كل البعد عن الجمال والفتنة . واتهمنى أنا بأننى أنسى واجبات المهنة وأتمادى مع المريضات . وهى ، فى عمومها ، اتهامات صبيانية ومضحكة ، ولكن خطرها شديد ، وهذا هو سبب خوفى ، فان مثل هذه الخطابات قد تتسبب فى وقوع كارثة .

- أظن ذلك .

واستطرد جريفيث : انها خطابات سخيفة وفظيعة . ولكن قد يكون فى أحدها اتهام حقيقى بالذات ، ولا ندرى عندئذ ماذا يمكن أن يحدث ، خصوصا اذا كانت الضحية غير مثقفة وساذجة .. فانها عندئذ ستصدق أن الاتهام صحيح .

قلت : ان الخطاب الذى جاءنى يدل على أن كاتبه غير مثقف .

قال فى لهجة تفيض بالشك : هل تظن ذلك ؟

وخرج على أثر هذه الكلمات . وقد أقلقتنى كلماته الأخيرة وقتا طويلا بعد انصرافه .

* * *

الفصل الثانى



لن أزعم أن ذلك الخطاب لم يضايقنى لأن ذلك غير صحيح ، ولكن يجب أن أقول أننى لم ألبث أن نسيته لأننى لم آخذه مأخذ الجد ، وأذكر أننى قلت لنفسى أن مثل هذه الأشياء شائعة الحدوث فى القرى الصغيرة النائية ، وأن من المحتمل أن كاتب هذه الخطابات امرأة مسكينة رأت أن تقدم على أمر مثير تغير به رتابة الحياة التى تحياها . وأنه اذا كانت جميع الخطابات التى جاءت لأهالى ليمستوك صبيانية ومضحكة بهذه الصورة فان الضرر ليس كبيرا .

ولكن جاءتنى مارى بعد ثمانية أيام ، وقالت لى بلهجة خطيرة أن بياتريس ، الفتاة التى تأتى لمساعدتها كل صباح ستلازم بيتها فى ذلك اليوم . وأردفت تقول

– وقد فهمت ياسيدى أنها شديدة الاضطراب . ولم أفهم قولها جيدا ، ولكننى توهمت ، وكان وهمى خاطئا ، بأن مارى تشير الى اضطرابات معوية ، ولذلك قلت لها أننى حزين من أجلها ، وأننى أرجو أن تتحسن صحتها قريبا فأجابتنى قائلة :

– انها فى صحة جيدة .. ولكننى كنت أعنى أنها متوترة الأعصاب معنويا .

قلت : آه .. !

– نعم ياسيدى .. بسبب خطاب جاءها بالبريد . خطاب به كثير من التعريضات .

وحملتنى نظرة مارى المتجهمة واللهجة التى نطقت بها كلمة " تعريضات " على التفكير . كان من المحتمل أن هذه التعريضات تتعلق بى ، ولم أكن قد أبديت أى

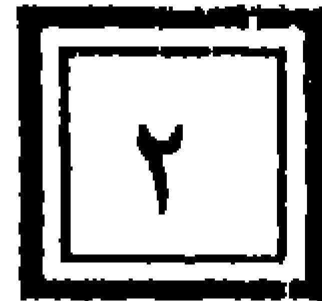
اهتمام ببياتريس ، وأظن ماكنت لأعرفها لو أننى ألتقيت بها فى الشارع ، ثم انه من العسير على رجل يمشى على عكازين أن يغوى فتاة قروية بحيث يصرفها عن اداء واجباتها . ولهذا قلت لها بفروغ صبر أننى استسخف هذه القصة . وردت على مارى قائلة .

– هذا ماقلته بالذات لأم الفتاة قلت لها انه ليس هناك مايعيب فى هذا البيت ، والا مابقيت أنا فيه . أما ابنتك بياتريس ، فأننى أعرف ماعليه بنات اليوم ، وابنتك ليست ساذجة ، والحقيقة ياسيدى أن ... بياتريس تخالط شابا يعمل ميكانيكيا فى الجراج وتخرج معه كل مساء ، وقد جاءه خطاب هو الآخر .

قلت : أننى لم أسمع فى حياتى على كل حال مثل هذه القصة السخيفة أبدا

ختمت مارى حديثها قائلة : هذا هو رأيى ياسيدى ، ولكن المهم هو أننا تخلصنا من الفتاة ، واذا كان ذلك الخطاب قد أثار اضطرابها الى هذا الحد فلاريب أن هناك شيئا تخفيه ، فليس هناك دخان من غير نار كما يقال ...

وما كنت أدرى عندئذ أن عبارتها الأخيرة ستظل تلح على ذهنى بصورة غريبة .



٢

كان الوقت جميلا فى ذلك الصباح ، فقد كان يعبق بحلاوة الربيع ، وكنت قد عزمت على أن أذهب الى القرية مشيا على الأقدام . وعندما أخذت عكازتى ، عرضت جوانا أن ترافقنى ولكننى احتججت فى شدة قائلا :

– كلا .. لست بحاجة الى ملاك حارس لكى يهمس لى بكلمات مشجعة . أننى أنوى أن أقوم بأشياء كثيرة ، فيجب أن أذهب الى سيمنجتون لكى أوقع على نقل ملكية الأسهم ، وسأمضى بعد ذلك الى الخباز لكى أشكو له من نوع الكعكة ، ثم يجب أن أذهب الى المكتبة ومنها الى البنك . أن يومى ، كما ترين مشحون فأبقى

بالبيت ..

وتم الاتفاق على أن تأتى جوانا الى البنك لكى تعود بى بالسيارة .

ولم ترافقنى أختى ، ومع ذلك فلم أذهب الى القرية وحدى لأننى كنت قد قطعت بضع مئات من الأمتار عندما سمعت خلفى جرس دراجة أعقب صوته فرملة شديدة ، ووقفت ميجان هنتر بجوارى ، ووضعت قدميها على الأرض وهى تقول :

- هالو .. كيف حالك ؟ ..

وكنت أحب ميجان وأرثى لها شيئا ما .

كانت ابنة مسز سيمنجتون ، أنجبتها من زوجها الأول ، الكابتن هنتر ، وقد فهمت أن مامن أحد يميل الى التحدث عنه ، وكل ماقيل عنه انه أساء معاملة زوجته ، وأنها حصلت على الطلاق بعد سنتين أو ثلاث من الزواج . ولما كانت على شئ من الثراء ، فقد انتقلت بعد طلاقها الى ليمستوك فى محاولة للنسيان ، وأنها انتهت بأن تزوجت الأعزب الوحيد الذى يصلح لها وهو ريتشارد سيمنجتون ، وأنجبت طفلين . وقد خامرنى احساس بأنها أهملت ميجان ، وأنها حولت كل اهتمامها ورعايتها الى هذين الطفلين .

ولم تكن تشبه أمها فى شئ ، فقد كانت هذه الأخيرة قصيرة القامة وضعيفة ، ذبل جمالها ، وتتحدث فى حزن عن صحتها وعن المتاعب التى تلقاها من الخدم . أما ميجان فكانت فتاة طويلة القامة ، خرقاء بعض الشئ ، فى العشرين من عمرها ، ولكن يظن من يراها أنها لاتزال فى السادسة عشرة ، شعرها أسمر مشعث طوال الوقت تقريبا ، ولها عينان خضراوان جميلتان ووجه بارز التقاطيع وابتسامة ساحرة تأخذ بمجامع القلوب ، ترتدى ثيابها كيفما اتفق وجواربها ممزقة دائما . وكانت تبدو بثيابها هذه أقرب الى الحيوانات منها الى البشر ، ولو أنها اعتنت بنفسها قليلا لكان لها شأن آخر .

وخاطبتني قائلة : أأنت ذاهب الى ليمستوك ..؟ رأيتك تمشى وحدك ، وخطر لى أن أسير معك .. وقد هبطت من الدراجة مسرعة بعض الشئ .

- هذا صحيح .. وقد تمزق جوربك ..

نظرت الى ساقها اليمنى وقالت : أجل . ولكن لاأهمية لهذا فقد كان به ثقبان من قبل .

- الا ترتقين جواربك أبدا ياميجان ؟

- بل أفعل .. عندما ترغمنى أمى على ذلك .. ولكنها لاتهتم بى إلا نادرا .. وهذا لحسن الحظ من ناحية ..

قلت : يبدو أنك لاتدركين أنك أصبحت فتاة كبيرة ؟

- هل تقصد أن تقول أننى لست متبرجة كأختك التى تبدو كالدمية .

ولم يرق لى وصفها هذا عن جوانا وقلت محتجا : أن أختى تعنى بنفسها ، ومنظرها يسر الناظرين .

- أنها جميلة جدا حقا ، ولكنها لاتشبهك ، فكيف هذا ؟

- أن الأخوة والأخوات لايتشابهون دائما .

- هذا صحيح . وأنا لاأشبه بريان ولاكولان ..كما أن كلا منهما لايشبه الآخر ..

ومشينا فى صمت بضع لحظات ثم واصلت الحديث بعد قليل ، فقالت فى شئ من الخجل :

- أنك كنت طيارا ، أليس كذلك ؟

- نعم ..

- وهل أصبت أثناء حادث ؟

- نعم . وقعت بى الطائرة على الأرض وتحطمت .

وعادت تقول بعد صمت آخر : أن أحدا هنا لايطير .

قلت : هذا لايدهشنى .. أتحبين أن تطيرى ياميجان .. ؟

نظرت الىّ فى دهشة كبيرة وقالت : أنا .. ياالهى . كلا .. أننى لن أحتمل ذلك ، فأننى أشعر بالمرض وأنا فى القطار .

وعلى الفور ، وبتلك الجرأة التى يتميز بها الأطفال ، ألقت علىّ سؤالا لم أكن أتوقعه طبعا .

- هل تظن أنك ستشفى تماما وتستطيع الطيران من جديد ، أم أنك ستبقى عاجزا هكذا الى الأبد ؟

أجبت : يؤكد لى طبيبى أننى سأشفى تماما .

قالت : المهم أن تعرف هل هو صادق أم لا ؟

- لاأظن أنه كاذب . بل أننى أثق فى قوله .

صاحت تقول : يسرنى أن أسمع هذا . ولكن هناك كثيرين يكذبون .

وكانت هذه حقيقة لاتقبل الجدل ، وقد تقبلتها دون أن أنطق بشىء .

وغيرت مجرى الحديث بعد ذلك ، فتكلمت عن ذكرياتها عن أيام الدراسة ، وعما كانت تجده من عناء فى أدب اللغة ، وفى قواعد النحو والصرف . وبلغنا أول شارع هاى ستريت ونحن نتجاذب أطراف الحديث فى هذه الناحية . وسمعت ميجان تقول فجأة :

- آه .. هاهى مس جريفيث .. أنها امرأة قذرة .

- ألا تحبينها ..؟

- أننى ابغضها ، فهى دائمة التشبث بى لكى أنضم الى فرقة المرشدات التى تشرف عليها . وأننى أكره كل هذه التفاهات ، فما الحاجة الى التجول جماعات . بذلك الزى المضحك ، وعلى صدر كل منهن نياشين تدل على أنها تعرف كل شئ ، فى حين أنها تعجز عن عمل أى شىء كما يجب . أن كل هذا ماهو الا نفاق .

وكنت أتفق مع ميجان فى هذه النقطة على العموم ، ولكن لم يسعفنى الوقت لكى أطلعها على ذلك ، فقد أقبلت مس جريفيث علينا ، وهى أخت الدكتور جريفيث ، وتدعى ايميه ، وتواجه الحياة بكل ثقة وجرأة على خلاف أخيها . وتتمتع بقسط من الجمال ، وأن كانت تشبه الرجال فى طباعها .

حيتنا تحية طيبة وقالت أن الوقت جميل ثم خاطبت ميجان قائلة :

- كنت أتمنى أن ألتقى بك هذا الصباح بالذات ياميجان ، فأننى بحاجة إليك لكى تساعدينى فى تحرير عناوين أصدقاء النصب التاريخية .

اعتذرت ميجان فى صوت خافت ، وفى كلمات مبهمة ، ثم ركنت دراجتها أمام الافريز وأسرعت بالاختفاء داخل أحد المتاجر . وتابعتها مس جريفيث بعينيها ثم قالت :

- ان هذه الفتاة غريبة الأطوار وشديدة الكسل . تقضى كل وقتها فى التسكع ، ولاريب أن أمها تلقى منها كل عناء . وأنا أعرف أن مسز سيمنجتون المسكينة حاولت أن تجعل منها شيئا ، كأن تتعلم الاختزال أو الطهى أو تربية الأرانب الانجوراه ، فهناك أشياء كثيرة يجب على الفتاة أن تتعلمها . ولكن ميجان لاتحفل بأى شىء أبدا .

وقلت لنفسى أن هذا قد يكون صحيحا . ولكن لو أننى كنت مكان ميجان لرفضت كل اقتراحات مس جريفيث لأن لهجتها الرجالية كانت تثير حنقى .

واستطردت مس جريفيث تقول :

- اننى أكره البطالة ، وخصوصا عند الشباب.ولو أن ميجان كانت جميلة ، أو على شىء من الفتنة لهان الأمر . واننى لأتساءل فى بعض الأحيان اذا لم يكن بها مس من الجنون . على أن أباها لم يكن يساوى شيئا هو الآخر . وأنه لأمر محزن لأمها ... ولكن الدنيا فيها كل شىء .

وضحكت ضحكة قصيرة ثم اردفت تقول :

- لاريب أن الدنيا ما كانت لتنصلح وتسير لو اننا كنا جميعا على صورة وهيئة واحدة . ولكننى على الرغم من هذا لاأحب الناس الذين لايستخلصون من الحياة كل مافيها من متع . أماأنا فأننى أحب التمتع بالحياة وأتمنى أن يفعل الجميع مثلى . وبعض الناس يظنون اننى برمت بحياة الريف ، ولكن الحقيقة غير ذلك فاننى أجد ماأفعله دائما ، وأنا سعيدة بهذا. وأجد دائما وسيلة لكى أستخدم وقتى . فلدى المشرفات والجمعيات واللجان . ثم أن لدى أوين كذلك ، اذ لابد لى من أن أهتم بأمره.

وعندما بلغت مس جريفيث هذا الحد من حديثها رأت صديقة لها على الأفريز المقابل فأسرعت إليها فى حين مضيت أنا إلى البنك .

وعندما فرغت من شئونى هناك ، ذهبت إلى مكتب المحامى سيمنجتون ، وهناك أدخلت إلى المكتب الخاص به ، وهو عبارة عن غرفة كبيرة يبدو أنها لم تعرف التهوية فى يوم من الأيام ، ورصت بجوار جدرانها صناديق كبيرة من الكرتون كتب على كل منها اسم إحدى الشخصيات الهامة بالمنطقة ، وقد رأيت بينها اسماء الليدى هوب وسير افراروكار ووليام هور وغيرهم . كان الجالس فى هذا المكتب يخامره احساس قوى بأنه أمام محام ناجح .

ورحت أفحص سيمنجتون وهو منحن فوق المستندات التى أحضرتها معى ، واذا كانت مسز سيمنجتون الحالية قد لقيت من متاعب ومصائب فى زواجها الأول ، فلم يكن هناك أى شك فى أنها لم تقدم على أية مغامرة بزواجها الثانى ، فقد كان مظهر ريتشارد سيمنجتون يدل على أنه رجل محترم ، وأنه زوج مثالى لن يسبب لزوجته أى أزعاج أو قلق . كان طويل العنق ، له تفاحة آدم بارزة ، ولوجهه شحوب الموتى . وكان رجلا ظريفا ، ولم يكن هناك أى شك فى أنه زوج طيب وأب طيب ، ولكنه كان من ذلك النوع من الرجال الذين يمكن أن تنظر النساء إليهم دون أن تخفق قلوبهن .

وتكلمنا عن الأعمال بضع لحظات ، وكان مستر سيمنجتون يتكلم بدقة ووضوح ،

وقد سرنى أن أرى أنه رجل حسن التقدير . واتخذنا بعض القرارات المناسبة ثم نهضت لكى أنصرف . وقلت له عندئذ :

- اننى قطعت شوطا من الطريق وأنا قادم إليك مع ابنة زوجتك .

نظر إلىّ بضع لحظات كما لو أنه لم يفهم ماأقول ، ثم ابتسم وقال :

- آه .. ميجان ! .. نعم . انها أتت للأقامة معنا منذ بعض الوقت . ونحن نفكر فى أن نجد لها شيئا تشغل به وقتها . ولكنها مازالت صغيرة جدا .. وهى متخلفة شيئا ما عن سنها .. هذا مايقال عنها على الأقل .

وفى المكتب الذى اجتزته فى طريقى إلى الخارج كان هناك ثلاثة من الموظفين ، رجل مسن منحن فوق مستند راح ينسخ صورة منه فى بطء . وشاب ممتلىء الوجه ، وامرأة أمام آلة كاتبة راحت تضرب عليها فى جد ومثابرة . وألقيت إلى هذه الأخيرة نظرة ، فاذا بها فى منتصف العمر ، ذات شعر مجعد ، كانت هى مس جينسن ، وانضممت الى رأى أوين جريفيث على الفور ، لأنه لم يكن هناك أى احتمال فى وجود أية علاقة بينها وبين مخدومها .

ومررت بعد ذلك على الخباز وقلت له أن الكعكة التى أرسلها إلينا بالأمس لم تكن طازجة أبدا ، وقد قابل شكواى بكل ذهول واحتجاج ، كما كان ينبغى أن يفعل ، وانهى الحديث بأن قدم لى كعكة أخرى كانت خارجة لتوها من الفرن .

وخرجت ووقفت على الافريز فى انتظار مجىء جوانا بالسيارة . وكان المشى قد أنهكنى ، ثم أنه أصبح من العسير علىّ أن أمشى بعكازتى والكعكة فى يدى .

ولكن جوانا لم يظهر لها أثر .

وفجأة ، رأيت منظرا عجبا ... منظرا رحت أنظر إليه فى دهشة وذهول .. منظرا رائعا استرعى انتباهى . . فعلى بعد بضعة أمتار منى ، وعلى نفس الافريز الذى أقف فوقه كانت تأتى نحوى غانية تتهادى فى خطوات رقيقة ، وتبدو كما لو أن قدميها

لاتمسان الأرض .

غانية .. لم يكن هناك كلمة أخرى أصفها بها ، فقد كانت كاملة الصفات لايعيبها أى شيء .. خصلاتها شقراء ذهبية .. ولم تكن تمشي كما يمشي البشر وانما كان يبدو أنها تحلق فى الفضاء كالملائكة . كانت فتاة رائعة الجمال حقا !

وكنت مذهولا بحيث لم أشعر بما يجرى حولى .. وأفلتت منى إحدى العكازتين ، فانحنيت لكى ألتقطها وو قعت منى العكازة الثانية . ورأيت نفسى أترنح ، وأوشكت أن أقع على ظهرى لولا أن أسرعت الغانية وأمسكتنى بذراع قوية . واستعدت توازنى وأخذت أتمتم ببعض كلمات الاعتذار ، بينما أعادت هى الى العكازة والكعكة التى كانت قد وقعت منى ، وهى تقول فى رفق :

- لاتعتذر ، ولاتشكرنى ، فاننى لم أفعل شيئا يذكر .

كانت اللهجة رقيقة ، ولكن الصوت كان عاما ومبتذلا .. بحيث تلاشى السحر وتبخر .

كانت فتاة جميلة ، متينة البناء ، سليمة الجسم ولاأكثر .

ورحت أفكر فيما كان يمكن أن يقع لو أن الله أتم عليها نعمته وحباها بصوت جميل . وتذكرت أمرا آخر سبق أن وقع لى وجعلنى أستغرب تصرفات القدر ، فقد ألتقيت مرة بامرأة قصيرة القامة . دميمة ، لها وجه كوجه الغوريللا . لايمكن أن يهتم بها أى رجل ، ولكنها عندما تكلمت سحرتنى بصوتها الرخيم الرقيق بحيث نسيت كل شيء آخر .

وجاءت جوانا فى هذه اللحظة ووقفت بسيارتها على حافة الافريز وسألتنى عما بى ، فأجبتها :

- لاشيء .. ولكن اذا أردت الحقيقة فقد أصبت بصدمة كبيرة .. فقد رأيت شيئا جعلنى أحلق فى السماء ، ولكننى لم ألبث أن وقعت من أعلى .

وأشرت الى الغانية وهى تبتعد ، وكانت تولينا ظهرها وقلت :

- هل تعرفين هذه الفتاة ؟

أجابتنى جوانا بأنها المربية التى تعنى بولدى مسترسيمنجتون وسألتنى :

- أهى التى قلبت كيانك هكذا ؟ .. أنها جميلة حقا ، ويطيب للمرء أن ينظر إليها ويتأملها ، ولكنها اذا تكلمت فقدت كل جاذبيتها .

***

الفصل الثالث



ذهبنا بعد ظهر ذلك اليوم لتناول الشاى فى بيت مستر باى ، وهو رجل قصير القامة ، مكتنز الجسم أشبه بالمرأة . وبيته معروف باسم "بريورز لودج " ، به سجاجيد جميلة ومفروشات ثمينة وتحف نفيسة . كل ستائره ووسائده من الحرير الغالى . وراحت يداه الممتلئتان ترتعشان فى انفعال وهو يرينا تحفه ، ويصفها لنا بصوت حاد كله نشاط. وأنا وأختى نحب الأشياء الجميلة ، ولهذا رحنا نصغى إليه فى إعجاب .

وقال ضمن ماقال :

يسرنى أنكما اتيتما للإقامة بيننا فان الأهالى هنا متخلفون جدا ، وقرويون أكثر من اللازم ، ولايعرفون كيف يفرشون بيوتهم . وقد رأيت بعينى رأسى مقعدا طراز لويس الخامس عشر ، وهو تحفة من نوعه موضوعا أمام منضدة من طراز الملكة ڤيكتوريا ، ومن نوع مبتذل ، وبجوارها مكتبا دوارا من خشب البلوط الملمع . وكما ترين ياآنسة ، فان هذا بعيد عن الانسجام ويفتقر الى الذوق والجمال .

" أما البيت الذى تقيمان فيه . وأعنى به بيت مس اميلى بارتون ، فهو بيت جميل ويضم مفروشات جميلة تدل على أن مس اميلى تتمتع بذوق سليم حقا . ولكنها مازالت تحتفظ ببعض المفروشات القديمة . وأظن أنها تحتفظ بها عن عاطفة لأنها ورثتها عن أمها " .

ثم حول اهتمامه الىّ وتغيرت لهجته ، وانتقل من الحديث عن الفن الى الثرثرة

العادية التى يعبدها فقال :

- انك لاتعرف شيئا عن أسرة مس بارتون طبعا ، لأنك تعاملت مع السمسار رأسا وهو أمر يؤسف له لأن لها قصة يجب أن تعرفها حقا . عندما قدمت أنا للأقامة هنا كانت الأم العجوز لاتزال على قيد الحياة ، وكانت امرأة عجيبة .. عجيبة جدا . كانت ضخمة الجسم ، تزن نحو مائة كيلو ، أن لم يكن أكثر . وكانت سيئة الأخلاق ، أساءت معاملة بناتها .. كانت اذا تكلمت عنهن تقول " البنات " مع أن كبراهن كانت قد تجاوزت الستين من العمر فى ذلك الوقت . كانت تنعتهن بالغباء وتحيل حياتهن جحيما ، وتسيطر عليهن تماما ولاتسمح لأى منهن بأن تخالفها فى الرأى . كانت تفرض عليهن الذهاب إلى فراشهن فى الساعة العاشرة ولاتسمح لهن باشعال النار فى المدفأة حتى ولا فى أشد أيام الشتاء بردا وزمهريرا . ولم تكن تسمح لهن كذلك باستقبال صديقاتهن فى البيت ، وكانت تحتقرهن لأنهن لم يتزوجن ، وتمنعهن فى نفس الوقت من مصادقة أى أحد . وأظن أن اميلى ، فى وقت ما ، أو لعلها(أجنس)، أوشكت أن تتزوج قسيسا ، ولكن الأم وجدت أنه لاينتمى إلى أسرة محترمة ، ووقفت الأمور عند هذا الحد .

قالت جوانا :

- كل هذا أشبه بإحدى الروايات .

أسرع مستر باى يقول : بل هى رواية حقا . وقد ماتت المرأة البغيضة أخيرا ، ولكن الشر كان قد استفحل ، وعاشت بناتها بعد ذلك وهن يتكلمن فى صوت خافت ، ويتساءلن هل كانت أمهن ترضى بهذا أو ذاك . وبقى البيت على حاله فلم يغيرن فيه شيئا . ولم تلبث أن ماتت أديث ، متأثرة بنزلة برد ، وأجريت عملية لمينى لم تستطع العيش بعدها . أما مابل فقد وقعت لها أزمة لزمت الفراش بعدها نحو عشر سنوات قامت اميلى بتمريضها أثناء ذلك .. وأنه لأمر محزن أن تواجه هذه الأخيرة صعوبات

مالية .. أن مواردها انخفضت كثيرا .

وقالت جوانا عندئذ أنها تشعر بالضيق تقريبا لأقامتها فى بيت مس اميلى ، ولكن مستر باى احتج قائلا :

- ولكن أبدا أيتها الآنسة العزيزة .. ولماذا تتضايقين ؟ .. أن فلورنس تعنى بها ، وهى شديدة الأخلاص لها . وقد عبرت لى هى نفسها عن غبطتها وسرورها بتأجير البيت لكما .

قلت :

- أن جو البيت هادىء جدا ومريح .

تحول مستر باى الىّ على الفور وقال :

- أهذا صحيح ؟ .. هل هذا رأيك ؟ .. هذا عجيب .

سألته جوانا :

- وماوجه العجب ؟

أتى مستر باى بحركة مبهمة من يده وقال :

- أن من العسير أن أفسر ذلك . اننى شديد الحساسية من ناحية الأجواء ، ومقتنع بأن أفكار الناس ومشاعرهم تترك أثرها فى الأماكن التى يعيشون فيها .. ويبقى منها شىء على الجدران وقطع الأثاث .

ورحت أصغى إليه فى دهشة وأنا أدور ببصرى فيما حولى . كيف أصف جو بريورز لودج ؟ .. تساءلت عن ذلك ، وأرانى الآن مضطرا إلى أن أقول بأننى لم أشعر بأن بين جدرانه مايدل على أى شىء على الاطلاق .. وانتبهت من تأملاتى عندما نطقت أختى بعبارة تقول فيها أنه يجب أن ننصرف . فأسرعت أنا الآخر ونطقت ببعض الكلمات المجاملة ، ثم خرجنا إلى الردهة .

وفيما كنا نقترب من الباب العمومى ، سقط خطاب من الفتحة التى به ، فانحنى

مستر باى والتقطه وهو يقول : بريد بعد الظهر .

واعتدل فى وقفته واستطرد يقول :

- ارجو ان تأتيا لزيارتى من وقت لآخر ، فإنه ليسرنى أن أتحدث دائما إلى أناس مثقفين ، فإن أهالى ليمستوك يعيشون فى الماضى ، ولايدرون شيئا عن الأحداث التى تجرى فى بقاع الدنيا الأخرى .

وشد على يد كل منا ، وساعدنى على ركوب السيارة فى رعاية كبيرة لم أكن محتاجا إليها . وكانت جوانا جالسة أمام عجلة القيادة ، فدارت بالسيارة لكى تخرج إلى الطريق العام ، والتفتت عندئذ لكى نلقى بتحية الوداع لمستر باى ، وكان قد بقى واقفا على البسطة أمام الباب وانحنيت بدورى . وفى نيتى أن أودعه أنا الآخر .

ولكن أيا منا لم يتم حركته ، فان مستر باى كان قد فض خطابه ، وأخرج منه ورقة راح ينظر إليها فى دهشة وقد اضطرم وجهه وظهرت عليه أمارات الغضب الشديد .

وفطنت عندئذ إلى أن شكل الخطاب كان قد أعاد إلى ذهنى شيئا ما . وتمتمت جوانا تقول :

- ياالهى ! .. ماذا حدث للرجل المسكين ؟

فقلت :

- يخامرنى احساس بأن يد الخفاء قد ضربته على كتفه .

كادت عجلة القيادة تفلت من يدى جوانا وهى تقول :

- هل تعنى أنه جاءه خطاب كذلك الذى تسلمناه ؟

- أظن ذلك .

- ولكن فى أى بلد انتهى بنا المطاف ؟ .. من كان يخطر له أن مثل هذه الأمور تقع فى مثل هذه البلدة الصغيرة الهادئة ؟ .. ولكن من الذى يكتب هذه الخطابات ياجيرى ؟

هززت كتفى وأجبت :

- وأنّى لى أن أعلم ياعزيزتى ؟ .. أظن أنه رجل مسكين بعقله خبل .. رجل مجنون .

- ولكن لماذا يفعل هذا ؟ .. أن هذا منتهى الغباء .

- اذا كنت تريدين أن تعرفى حقا فاقرئى فرويد أوسلى الدكتور أوين .

- أما هذا فلا .. فأنه لايحبنى .

- ولكنه لم يرك كثيرا .

- بل رآنى بما يكفى لكى يسرع الى الأفريز الآخر تهربا منى .

ووافقتها على أن هذا التصرف غريب منه وأردفت أقول :

- لقد عودك معجبوك على ابداء إعجابهم بشتى المجاملات .

قالت وهى تكاد تبتسم :

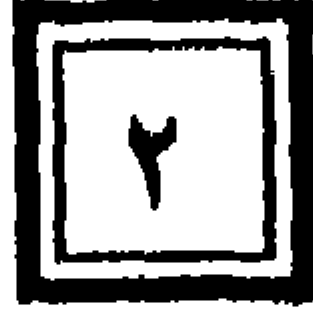
- أرجوك ياجيرى .. كفى مزاحا وقل لى لماذا يكتب الناس مثل هذه الرسائل .

- انهم رجال بعقلهم خبل كما قلت لك ، وكتابة خطابات لايوقعونها ترضى حاجة لديهم ، وأظن أن بعض الناس اذا ماأحسوا بالمهانة أو الإستياء ، أو اذا رأوا أن الغير لايقدرونهم حق قدرهم يشعرون بشعور سيىء إذ يعتقدون أنهم من القوة بحيث يطعنون في الخفاء أناسا سعداء يستمتعون بحياتهم .

- أظن أن الذى يكتب هذه الخطابات لم يتلق تربية أو تعليما ، فأن الرجل المهذب..

ولم تكمل عبارتها ، ولم أجد من ناحيتى جدوى فى أن أقول شيئا ، فاننى لم أعتقد أبدا أن التربية أو التهذيب يعلمان الناس الشرف وحسن الأخلاق .

* * *



ذهبنا فى اليوم التالى لكى نلعب البريدج فى بيت آل سيمنجتون .

وكان ذلك فى أصيل يوم السبت ، وكان المكتب مغلقا . وكانت هناك مائدتان للعب ، وكنا ثمانية أفراد : مستر سيمنجتون وزوجته وأنا وجوانا ، ومس جريفيث ومستر باى ومس بارتون ورجل يدعى الكلونل أبلتون ، لم نكن قد التقينا به بعد ويقيم فى كمبيكر ، وهى قرية تبعد عن ليمستوك بنحو عشرة كيلومترات ، وكان فى الستين من عمره ويجيد اللعب . وقد أبدى اهتماما كبيرا بجوانا ولاغرو فقد كانت أجمل فتاة فى ليمستوك .

وعندما وصلنا كانت مس هولاند تفتش فى مكتب صغير بحثا عن الدفاتر الصغيرة التى تستخدم فى تسجيل نقاط اللعب . وعثرت عليها أخيرا ، ونظرت إليها وهى تبتعد . كان يبدو أنها تنزلق على الأرض كما لو كانت مخلوقة روحانية . ولكن سحرها لم يعد ليؤثر فىّ ، ولاحظت أن لها أسنانا كبيرة كما لو كانت قطعا من الحجارة . وان لثتيها تظهران بطريقة بغيضة جدا عندما تبتسم . وقالت تخاطب مسز سيمنجتون :

- هذه هى دفاتر اللعب .. سأطلب من أجنس أن تعد الشاى فى الساعة الخامسة ، أما أنا فسأخرج بالولدين إلى حديقة لونج بارو . حتى لايثيرا أية ضجة .

والحق أنها كانت فتاة جميلة ، سليمة الذوق . وكانت جوانا تنظر إلى فاحصة من طرف عينها ، وكانت تضحك . ونظرت إليها فى برود شديد وأنا ألعنها فى قرارة نفسى لأنها كانت تعرف دائما مايدور فى ذهنى .

ولم نلبث أن بدأنا اللعب . ولعبنا دورين استطعت فيهما أن أعرف الكثير عن كل الموجودين . كانت مسز سيمنجتون تجيد اللعب إجادة تامة ، وكان الكولونل أبلتون

متهورا فى لعبه ، أما مس بارتون فقد كانت أسوأ لاعبة دون جدال

وعندما فرغنا من اللعب ، كانت الساعة قد بلغت الخامسة فأنتقلنا إلى غرفة الطعام لكى نتناول الشاى ، وعندئذ اندفع ولدان إلى الغرفة كالقنبلة ، وهما فى أشد حالات الأنفعال . وقدمتهما لنا مسز سيمنجتون بفخر أموى فى حين راح زوجها ينظر إليهما فى تسامح .

وعندما هممنا بمغادرة المائدة رأيت ميجان واقفة بجوار النافذة الكبيرة . وقالت أمها :

- آه .. هاهى ذى ميجان .

وكان فى صوتها رنة من الدهشة جعلتنا نعتقد أنها قد نسيت ابنتها تماما .

ودخلت ميجان وصافحت كلا منا فى شيء من الارتباك . وقالت أمها :

- أخشى اننى نسيتك ياعزيزتى ولم أطلب من أجنس أن تعد لك الشاى ، فقد تناولته مس هولاند هى والولدان فى الخارج ، وحسبتك معهم .

أجابتها ميجان قائلة :

- لابأس .. سأذهب إلى المطبخ .

وخرجت وهى تجر قدميها . وكانت ترتدى ثيابها بدون أية عناية . وكان جورباها ممزقين تمزيقا شنيعا عند كعبيها . وقالت مسز سيمنجتون ضاحكة :

- مسكينة ميجان ! .. أرجو أن تلتمسوا لها العذر فهى فى سن المراهقة . والبنات فى هذه السن يشعرن بالخجل دائما ويأتين بأمور غريبة عندما يغادرن المدرسة وهن لم يكبرن بعد .

طوحت جوانا برأسها إلى الخلف . وكنت أعرف معنى هذه الحركة ، فقد كانت نذيرا بالهجوم .

وقالت :

- ولكن ميجان بلغت العشرين من عمرها .

قالت مسز سيمنجتون :

- هذا صحيح . ولكنها بقيت صغيرة جدا ... أنها مازالت طفلة ! .. وهذا يروق لى كثيرا .. فإنه لأمر جميل أن تكون لك ابنة لاتكبر سريعا . وأظن أن كل الأمهات مثلى يتمنين أن يظل أولادهن صغارا .

أجابتها جوانا تقول :

- لاأرى أى جمال فى هذا . ماذا يكون الأمر لو أن تكبر الطفلة وتحتفظ فى نفس الوقت بعقلية بنت فى السادسة من عمرها .

احتجت مسز سيمنجتون قائلة بأنه لاينبغى أن تأخذ كلامها على علاته ، ورأيت فى هذه اللحظة أن تلك المرأة لاتروق لى إطلاقا ، وأن جمالها الذى يفتقر إلى الحيوية لابد يخفى خلفه أنانية وشراسة كبيرتين . وأردفت تقول :

- ان ابنتى المسكينة ميجان فتاة صعبة .. حاولت أن أجد لها شيئا تشغل به وقتها .. شيئا تستطيع أن تتعلمه عن طريق المراسلة ، كالتفصيل مثلا .. وكان بودى أن تتعلم الاختزال كذلك والضرب على الآلة الكاتبة .

وعدنا وأخذنا أماكننا حول مائدتى اللعب .. وجلست جوانا وفى عينيها ذلك الوميض الأحمر ، وقالت :

- أظن أن ميجان يجب أن تشترك الآن فى الحياة العامة .. فهل ستقيمين حفلة راقصة تكريما لها .

صاحت مسز سيمنجتون فى دهشة وطرب :

- حفلة راقصة ! .. ولكن مثل هذه الأمور لاتقع هنا .

- آه .. ستكتفين بالتنس اذن ؟

التنس ! .. ولكن هناك سنوات لم يمارس أحد التنس فى هذه القرية .. بل ان

ريتشارد لايلعب معى . ولكننا سنفكر فى هذا الأمر عندما يكبر الولدان . أما ميجان فلا داعى لأن تقلقى بشأنها ، فانها سعيدة جدا هكذا

وفى طريق العودة ، قالت جوانا غاضبة أن موقف ميجان يحزنها كل الحزن ، وأردفت تقول :

ويخامرنى احساس بأن أمها لاتحبها .

- انك تبالغين !

- ابدا . هناك أمهات كثيرات لايشعرن بأى حب نحو أولادهن وميجان فتاة غريبة.

لم أنطق . ومرت لحظة ضحكت جوانا بعدها وقالت :

- ليس لك أى حظ مع المربية .

قلت لها فى وقار كبير اننى لاأفهم ماتعنيه فعادت تقول :

- دعك من هذا الغباء . انك فى كل مرة كنت تنظر إليها كان الحزن يظهر على وجهك والحق اننى أشاركك الرأى وأن أمرها ليستحق الرثاء .

- أقول لك اننى لاأفهم .

استطردت تقول :

- ومع ذلك فاننى أشعر فى قرارة نفسى بسرور كبير ، فان هذا معناه أنك تعود إلى الحياة ، فقد شغلنى أمرك كثيرا وأنت فى المستشفى ، فلم يبد عليك أنك لاحظت أن ممرضتك جميلة جدا .

قلت :

- أن حديثك هذا يؤلمنى ياجوانا .

ولكنها استأنفت تقول دون أن تعبأ بى :

بحيث اننى سررت اذ رأيتك لاتزال جديرا بأن تهتم بفتاة جميلة . ولاجدال فى

أنها جميلة ، ولكن الشيء الذى لاأفهمه هو أنها لاتتمتع بأية جاذبية .

وهذا والحق غريب ، فهناك نساء يجذبن الرجال إليهن ، ونساء يفتقرن إلى الجاذبية تماما . وأظن أن القدر يخطىء أحيانا عند التوزيع ، فهو ذات يوم ، يبنى " أفروديت " ويمنحها طبعا مناسبا ، ثم يخطىء فى يوم آخر ويمنح هذا الطبع لامرأة مكتنزة الوجه ، وعندئذ تصاب غيرها من النساء بالجنون ويقلن : لاأدرى ماذا يجد الرجال فيها . ومع ذلك فهى ليست جميلة !

- إذا أردت الحق فان هذه الفتاة خيبت ظنى .

- ولست أرى فتاة أخرى تحظى باهتمامك ، ولامفر لك الآن من أن تغازل ايميه جريفيث .

- حاشا لله !

- - انها ليست دميمة !

- ولكنها امرأة مسترجلة .

قالت جوانا :

- يبدو انها تحب الحياة على كل حال .. فهى تتدفق صحة ، ولايدهشنى أن أعلم أنها تأخذ حماما باردا كل يوم .

قلت :

- إنك تشغلين بالك بى كثيرا ، وهذه مكرمة منك . ولكن ماذا من أمرك أنت ؟

- أنا ؟

- نعم ، فمما أعرفه عنك لابد لك من شيء من اللهو .

أطلقت جوانا تنهيدة كان يمكن أن تثير أى شخص إلا أنا ، وقالت :

- من فينا الخبيث الآن ؟ .. هل نسيت بول ؟

- لن يكون من السهل علىّ نسيانه مثلك ، فانك سوف تقولين بعد عشرة أيام :

بول .. ومن هوبول ؟ . اننى لم أعرف أحدا باسم بول أبدا .

هل تعتقد أننى متقلبة إلى هذا الحد ؟

مع اناس أمثال بول ، وهذا وحده يدعو إلى الاغتباط .

- انك لم تشعر . نحوه بأى ميل أبدا ، على الرغم من أنه كان على شىء من النبوغ .

- هذا جائز ، وإن كنت أشك فى ذلك . ان النبغاء على كل حال قوم يجب أن نكون منهم على حذر . ومهما يكن من أمر فلن تجدى أحدا منهم هنا .

نظرت جوانا إلىّ لحظة ثم قالت فى لهجة حزينة :

- أظن ذلك .

- ولا مفر لك من مغازلة أوين جريفيث . فأنه الأعزب الوحيد فى القرية إلا إذا كنت تفضلين الكولونل ابلتون فقد كاد يلتهمك بعينيه بعد ظهر اليوم .

ضجت بالضحك وقالت :

- هذا صحيح . وقد ضايقنى منه ذلك فى النهاية .

- دعك من الكذب . اننى لم أرك أبدا تخجلين من نظرة رجل .

لم تجب جوانا . وكنا قد وصلنا إلى البيت . وبعد أن أدخلت السيارة الجاراج قالت:

- هناك شىء فيما قلت منذ لحظة .

- وماهو ؟

- لاأرى لماذا ينتقل رجل عامدا إلى الرصيف الآخر لكى يتجنبنى . هذه قلة أدب.

قلت :

- آه .. آه .. هل ستطاردين الرجل بكل جرأة وتقهرينه ؟

- لم أقل هذا . ولكننى لاأحب أن يتجاهلنى أحد . رأيت أن أزود أختى بنصيحة

صغيرة فقلت ونحن نعود إلى البيت على مهل :

- دعينى أقل لك شيئا ياأختاه . أن أوين جريفيث ليس من هذا النوع الذى اعتدت عليه ، وإذا لم تتوخى الحذر فسوف تتورطين وتجلبين لنفسك المتاعب ، فإن هذا الرجل قد يكون شديد الخطر .

- حقا

وبدا أن هذا الأحتمال قد أطربها فقلت فى إصرار :

- دعيه وشأنه .

- إذن لماذا ينتقل إلى الأفريز المقابل عندما يرانى .

- أن النساء امرهن عجيب .. إذا ماأصررن على أمر فلن يصرفهن عنه أى شىء آخر . ثم اننى أحب أن ألفت نظرك إلى شىء وهو أنك لن تسلمى من عداء ايميه .

أجابت جوانا :

- أعرف أنها تكرهنى منذ الآن .

وكانت قد تكلمت بعد تفكير طويل ، ولكن بدا فى صوتها ارتياح كبير عن احتمالات المعركة المتوقعة . وقلت فى حزم .

- لاتنسى على كل حال أننا أتينا هنا ننشد الراحة والهدوء ، واننى أريد أن أستمتع بهما حقا .

الراحة والهدوء .. لم أكن أدرى اننا لن نلبث أن نفتقر إليهما بعد قليل .

* * *

الفصل الرابع

١

بعد ثمانية أيام من ذلك جاءتنى مارى تسألنى إن كنت أستطيع أن أمنح مسز بيكر دقيقتين . وما كان هذا الاسم يدلنى على شيء فقد سألتها قائلا :

- ومن هى مسز بيكر ؟ .. الا يمكن لجوانا أن تقابلها ؟

وأجابتنى مارى عندئذ فقالت أن مسز بيكر هى والدة بياتريس ، وأنها تريد أن ترانى أنا شخصيا . وكنت قد نسيت بياتريس ، ولم أجد بدا من مقابلة أمها خاصة وأن جوانا كانت قد خرجت . وراحت تقول بمجرد أن استقبلتها :

- اننى اشكرك كثيرا ياسيدى ، وأنا سعيدة باستقبالك لى . وقد قلت لبياتريس ، وهى تنوح فوق فراشها " إذا كان هناك من يدرى مايجب أن يفعل فهو مستر بورتون بلاشك ، فاننى لاأدرى ماالعمل مع هذه الخطابات اللعينة وماتحويه من بذاءات لاعهد لنا بها .

- هل أفهم من هذا ان ابنتك تسلمت خطابات أخرى ؟

- كلا ياسيدى .. ليست هى .. انها لم تتسلم غير ذلك الخطاب الذى تركت العمل على أثره .

- اؤكد لك أنه لم يكن هناك أى مبرر لكى تترك العمل .

- لاحاجة بك إلى هذا القول ياسيدى ، فاننى أصدقك . ثم أن مارى قالت لى أنك لست من هذا النوع من الرجال . لم يكن الخطاب غير أكاذيب طبعا ، ولكن كان من

الممكن ان تنتهى هذه القصة على خير ، ولكن خطيبها چورچ جاءه احد هذه الخطابات وهو يعمل ميكانيكيا فى الخارج . والخطاب مملوء بالقذارات التى تدور حول بياتريس . وكيف أنها تلتقى بشاب يدعى توم ، وهذا غير صحيح طبعا . ولكن چورچ جن جنونه وجاء إلى البيت وقال لبياتريس أنه لن يطيق ذلك ، ولن يسمح لها بأن تخرج مع غيره . وقد ردت عليه فقالت ان كل هذا كذب ، ولكنه صرخ فيها يقول أنه ليس هناك دخان من غير نار ، وعندئذ راحت المسكينة تبكى بكاءً حاراً وعندئذ لم أجد بدا من أن أسرع إليك لعلك تشير علىّ بشئ .

- ولكن لماذا جئت إلىّ أنا ولم تذهبى إلى البوليس ؟

- أنا ... اذهب إلى البوليس ؟ ... هذا محال .

وكان صوتها يحفل باللوم والعتاب . وقلت وقد بدأت أشعر بالضيق :

- ولكن هذه هى النصيحة الوحيدة التى استطع ان أقدمها إليك .

قالت بعد صمت يسير :

- ومع ذلك فلابد أن نفرغ من هذه الخطابات ، فانها ستأتى بشر مستطير ذات يوم.

انحنيت إلى الأمام قليلا ، وقلت اسألها :

- مسز بيكر ، الديك فكرة عمن يكون كاتب هذه الخطابات البغيضة ؟

- طبعا ، ولست وحدى أعرف هذا .

- ومن هو ؟

كنت أحسب أنها ستجد غضاضة فى أن تنطق باسم ، ولكنها قالت دون أى تردد :

- أنها مسز كلينت طبعا .. وهذا رأى الجميع ... ليس هناك أى شك فى إنها مسز كلينت .

وأخبرتنى أن مسز كلينت هذه زوجة لبستانى مسن ، ولما سألتها لماذا تظن أنها

هى التى تكتب هذه الخطابات اللعينه   أكتفت بأن تقول فى توكيد : لأن هذا من شيمها

وقبل أن تنصرف نصحتها مرة أخرى أن تلجأ الى البوليس ، ولكنها أصرت على الرفض قائلة أنها تخشى أن تصيبها مسز كلينت بمكروه .

وجعلت أفكر فيما روته لى . وعلى الرغم من أن الاتهام كان واهيا فقد انتهى بى الأمر إلى الاعتقاد بأن مسز كلينت هى كاتبة الخطابات المسمومة ، مستندا بذلك إلى رأى القرية الاجماعى . ورأيت أن اتحدث فى هذا مع جريفيث لأنه يستطيع بحكم معرفته لها أن ينصحنى هل اطلع رجال البوليس على شكوك أهالى القرية فيها أم لا

ودبرت امرى لكى امضى إليه فى الوقت الذى يفرغ فيه من استشاراته تقريبا ، واستقبلنى فى عيادته بعد أن انصرف آخر مرضاه ، وأطلعته على حديثى مع مسز بيكر . واصغى الىّ فى اهتمام ثم قال :

مسزكلينت ؟ .. هذا أمر بعيد الاحتمال .

- لماذا يتهمها الرأى العام اذن ؟

- اجابنى وهو يبتسم :

لسبب يبدو لى انك لاتعرفه ، وهو أن مسزكلينت هى ساحرة القرية .

اطلقت صيحة دهشة فاسترسل يقول :

اعرف أن هذا يبدو غريبا فى العصر الذى نعيش فيه ، ولكن هذه هى الحقيقة ، فما زال أهالى الريف يعتقدون فى مثل هذه الأشياء . والمعروف فى قريتنا هذه أن مسز كلينت لها عين شريرة ، وقد ساعدت هى نفسها على انتشار هذه الاسطورة ، خاصة وانها امرأة غريبة الأطوار ، لاتحب الخير لأحد .. فاذا ماوقع طفل أو أصيب فى حادث هزت رأسها وقالت " ان ذلك كان لابد واقع لأنه سرق تفاحا من حديقتى فى الأسبوع الماضى " أو " لأنه ضرب قطتى بحيث حرصت الأمهات على ابعاد اولادهن عن طريقها ورحن يخطبن ودها فيقدمن لها الهدايا من العسل والفطائر لكيلا ترميهن بسوء . ومن

هذا ترى أنهن يعتقدن أنها هى التى تكتب الخطابات .

نظرت إليه مليا ثم قلت :

إذا لم تكن هى كاتبة هذه الخطابات ، فمن يكون ؟

هز رأسه وقال :

لاأدرى . هذه قصة قذرة ، وأخشى أن تنتهى بأسوأ نهاية .



وعند عودتى إلى البيت وجدت ميجان جالسة فى الشرفة وذقنها فوق ركبتيها . وحيتنى ببساطتها العادية وقالت :

- هالو ... أتظن أننى أستطيع أن أدعو نفسى للغداء معكم ؟

أجبت : طبعا .

وتركتها وأسرعت لكى أقول لمارى أن تعد الغذاء لثلاثة ، ولم تبد أى اعتراض طبعا . ولكننى فهمت من تصرفها أنها لاتكن أى احترام لميجان . وقالت لى هذه الأخيرة عندما عدت إلى الشرفة :

- ألن اسبب لكما أى ازعاج حقا ؟

ابدا .

وأخرجت علبة سجائرى ، وقدمتها ، مفتوحة ، إليها ، فاضطرم وجهها وأتت بحركة تدل على الرفض قائلة :

شكرا لك ، وأنها لمكرمة منك أن تقدم لى سجارة ، كما لو كنت شخصا له اعتباره .

سألتها فى طرب :

أولست كذلك ؟

هزت رأسها نفيا ، ثم غيرت مجرى الحديث ، وارتنى ساقيها المغبرتين وهى تقول لى فى فخر أنها رتقت جوربها . وأنا لست خبيرا فى هذه الناحية ، ولكن بدا لى أن الرتق قد تم بنوع من الخيط يختلف لونه عن لون الجورب نفسه . وسألتنى بعد ذلك قائلة :

- هل تقوم أختك برتق جواربها ؟

واعترف بأننى بذلت مجهودا كبيرا لكى اتذكر ذلك ثم قلت :

لاأدرى . أظن انها تكتفى بشراء جوارب أخرى غير التى تتمزق .

قالت : هذا والحق عمل حكيم ، ولكننى لاأستطيع أن أفعل هذا ، فاننى لاأحصل إلا على أربعين جنيها طوال العام ، ولايمكن عمل الكثير بهذا المبلغ .

واذ وافقتها على ذلك اردفت تقول :

لو أن الجوارب كانت سوداء لصبغت ساقى بالحبر .. هذا ماكنت أفعله على كل حال وأنا فى المدرسة . وكانت مس باثوورتى حولاء فلم تكتشف الأمر أبدا .. كانت طريقة عملية .

- لست أشك فى هذا .

وساد الصمت . وأخذت ادخن غليونى وأنا استمتع باللحظة . وفجأة قالت فى حدة لم أتوقعها :

- أظن أنك تجدنى بغيضة لاتحتمل كما يفعل الجميع ؟

وكانت دهشتى شديدة بحيث فغرت فمى ووقع الغليون على الأرض وانكسر ، وصحت بها :

- أرأيت ماذا فعلت ؟

ولكن لم يظهر عليها أى استياء لذلك ، واكتفت بأن قالت وهى تبتسم :

- إذا أردت الحق فاننى أحبك كثيرا .

واعترف أن قولها هذا قد سرنى كثيرا ، وانحنيت والتقطت قطع الغليون المكسور ودسستها فى جيبى ثم قلت :

- ماذا كنت تقولين قبل هذه الكارثة ؟

- كنت اقول أنك لاشك تجدنى بغيضة لاأحتمل كما يفعل الجميع .

ولكن الحدة كانت قد أختفت من لهجتها . وسألتها :

- لماذا ؟

أجابت بلهجة الجد :

- لأن هذه هى الحقيقة .

قلت لها أن تكف عن النطق بمثل هذه الحماقات ، ولكنها ردت علىّ قائلة :

أعرف أن هذا صحيح ، فاننى لست غبية كما يتصور الناس . أما الشىء الذى يجهلونه فهو أننى أعرفهم على حقيقتهم تماما ، واننى أمقتهم لهذا السبب .

- تمقتينهم ؟!

- نعم . ولو انك كنت مثلى وتعرف أنهم ينظرون إليك كما لو كنت حثالة لاضرورة لها لأحسست بنفس ماأحس به .

- هل أنت واثقة مما تقولين ؟ .. ألا تتصورين أمورا لاوجود لها ؟ .. ألا تعانين من انهيار عصبى ؟

هزت كتفيها وقالت :

- كلا . ولم أبعد عن الحقيقة فيما قلت لك . أن أمى لاتحبنى . ولاريب لأننى اذكرها بأبى وكان شرسا فى معاملته لها . وقد كان الأمر سهلا يسيرا ، وطالما كنت فى المدرسة الداخلية . أما الآن .. أن أمى تفضل أن تكون وحدها مع زوجها وولديها .

قلت فى بطء :

- أظن ان الموقف ليس من السوء كما ترين ياميجان . ولكن اذا صح ماتقولين فلماذا لاتمضين الى مكان آخر وترتبين حياتك وفق ماتشائين ؟

ابتسمت ابتسامة خافتة ، ولم تعد طفلة كما كانت من قبل وقالت :

- اتقول لماذا لاأمضى إلى مكان آخر ؟ .. ولكن كيف أعيش ؟

- تستطيعين ان تكتسبى قوتك .

- وكيف ذلك ؟ .. وماذا أفعل ؟

- هناك أشياء كثيرة يمكنك أن تفعليها.. امساك الدفاتر أو الأختزال ..

- هذه أمور لاأستطيع أن أفهم منها شيئا .. ثم .. وأمسكت فقلت استحثها :

- ثم ؟

وكانت قد حولت رأسها واستقر رأيها أخيرا على أن تنظر اليّ . كان وجهها شديد الإحمرار ، وفى عينيها دموع . وقالت :

- ثم لماذا أمضى ؟ .. انهم يريدون ارغامى على الرحيل ولايريدوننى . ولكننى سأبقى .. سأبقى لالشىء إلا لمضايقتهم .. أنهم جميعا أشخاص قذرون . وأننى أمقتهم . أمقتهم جميعا وأمقت كيمستوك معهم .. يعتبروننى غبية ودميمة . سوف أريهم .. سوف أريهم .

وكانت قد استعادت لهجتها الصبيانية التى تثير الشفقة . وسمعت وقع أقدام على الحصى فى الشرفة التى خلف البيت فأسرعت أقول :

- انهضى . ادخلى من غرفة الطعام واصعدى إلى الطابق العلوى . وامضى إلى دورة المياه فى آخر الطرقة أسرعى .

ووثبت واقفة ، وماكادت حتى ظهرت جوانا فى أول الطرقة ، وصاحت تقول وهى تجلس بجوارى وتجفف وجهها بإيشارب فى يدها :

- ياالهى .. أن الجو حار جدا اليوم . انى مشيت كثيرا اليوم لا لشىء إلا لكى

تكون لى الغلبة على هذا الحذاء اللعين .. انى فكرت فى شىء ياجيرى .. أظن أنه يجب أن تقتنى كلبا .

- هذا رأيى أنا أيضا .. وبهذه المناسبة ، ستتناول ميجان الغداء معنا اليوم

- آه .. حسنا .

- هل تحبينها ؟

- نعم . فهى أشبه بهؤلاء الأطفال الذين نقرأ عنهم فى القصص الخرافيه هؤلاء الأطفال الذين يتخلى أهلهم عنهم ويثيرون الرثاء والشفقة .. ولكننى سأصعد الآن إلى دورة المياه .

- هذا محال . لأن ميجان فيها الآن .

جلست جوانا . وأخرجت مرآة صغيرة من حقيبتها وراحت تتأمل وجهها فيها ، وقالت بعد فحص دقيق :

- ان هذا الأحمر لايناسبنى أبدا .

وعادت ميجان فى هذه اللحظة وقد هدأت . وكانت قد غسلت وجهها وحيتها جوانا قائلة :

- أنك أحسنت صنعا اذ اتيت لتناول الغداء معنا .

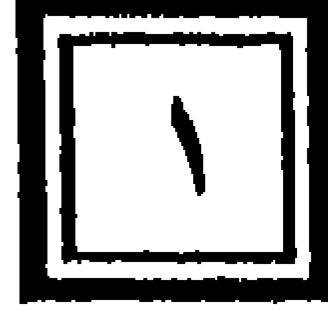
واقبلت مارى لكى تقول أن الطعام جاهز فنهضت جوانا قائلة :

- هلموا بنا فأننى أموت من الجوع

وتأبطت ذراع ميجان ، ومضت معها إلى غرفة الطعام

* * *

الفصل الخامس



أرى أننى أغفلت شيئا هاما ، فاننى لم اتكلم حتى الآن عن مسز دين كالتروب ولا عن القسيس كالب دين كالتروب .

ومع ذلك فإن القسيس وزوجته شخصيتان لهما أهميتهما . ولم ألتق فى حياتى برجل بعيد عن حقائق الحياة كالقسيس دين كالتروب ، فقد كان يصب كل اهتمامه على الكنيسة وشئون الدين . أما زوجته فكانت تختلف عنه اختلافا كبيرا . كانت لاتهتم أبدا بما لايعنيها ولكنها كانت مع ذلك على علم بكل مايدور فى القرية .

وقد استوقفتنى فى شارع هاى ستريت فى غداة اليوم الذى تناولت فيه ميجان الغداء معنا . وقد استغربت منها ذلك لأن من عادتها أن تتنقل وهى تجرى تقريبا . هذا فوق أنها تنظر بعيدا دائما وهى تمشى بحيث يخيل لك أن بصرها لم يقع عليك .

وصاحت تقول :

- آه ! .. أهذا أنت يامستر بورتون ؟ .. فيم كنت اريد أن اتحدث إليك ؟ .. آه .. ماهذه الخطابات المسمومة التى نشرتها فى القرية .

احتججت بأننى لم أنشر شيئا ، وأنها كانت موجودة فى القرية قبل قدومنا ، أنا وأختى . فقالت :

- آه .. هذا صحيح .. أن هذه القصة لاتروق لى ، فإن فيها شيئا غير عادى . فإن أهالى القرية ليسوا من هؤلاء الذين يتراسلون بالرسائل المجهولة . أنهم

حاسدون ولهم عيوبهم طبعا . ولكن ليس فيهم من هو جدير بأن يفعل شيئا كهذا وإذا اقترف أحد مثل هذه النقيصة . فقد كان يجب أن أعرفه ولكن ليست لدى انه فكرة عمن يكون كاتب هذه الخطابات .. ومهما يكن من أمر فإن أمرها مضحك .

- هل جاءك خطاب منها ؟

- بل جاءنى خطابان .. كلا . بل ثلاثة . وقد نسيت مضمونها تماما . ولكن كان بها حماقات عن كالب وإحدى المدرسات بالمدرسة . وهى حماقات حقا لأننى أدرى الناس بكالب . وأن هذا ليدهشنى لأن هناك أشياء حقيقية كان فى مقدور الكاتب أن يتكلم عنها ولكنه لم يفعل ، وهذا يدل على أنه لايعرف عنها شيئا ، وهو أمر عجيب.

- وكيف هذا ؟

- إن فى القرية فضائح كثيرة ، وكان فى مقدوره أن يتكلم عنها ولكنه لم يفعل ، فلماذا ؟

ولزمت الصمت لحظة ثم سألتنى فى حدة عما جاء بخطابى فقلت :

- أنه يقول بين مايقول أن أختى ليست أختى .

- وهل هى أختك حقا ؟

وكانت لهجتها تنم عن اهتمام ودى ، فصحت أقول :

طبعا . ان جوانا أختى بالطبع .

قالت :

هذا يدل على أننى على حق ، فقد كان يمكنه أن يجد شيئا آخر .

وهزت رأسها فى تفكير ، وراحت تنظر الىَّ فى اهتمام وأدركت فجأة لماذا يعمل لها أهالى لبمستوك ألف حساب فقد كان يبدو أنها تعرف أدق الأسرار ، ولهذا لايمكن أن تدرك مدى غبطتى وأنا أسمع من خلفى صوت ايميه جريفيث الحار يقول مخاطبا محدثتى

صباح الخير ياموود . يسرنى أن ألتقى بك . فقد أردت أن اقترح عليك تأجيل حفلتنا الخيرية ..

- صباح الخير يامستر بورتون ..

وأسرعت تقول دون أن تترك لى الفرصة لكى أنطق بكلمة واحدة .

- سأدخل عند البدال لكى أشترى منه شيئا ثم آتى إليك .

أجابتها مسز دين كالتروب :

- حسنا .

وأردفت تقول بمجرد أن أختفت ايميه داخل المحل :

- ياللفتاة المسكينة !

ودهشت اذ رأيتها ترثى لايميه ، ولكنها لم تلبث أن عادت إلى ماكان يشغلها وقالت :

- نعم يامستر بورتون . اننى أشعر بشىء من الخوف ، فإن هذه الخطابات تدل على أن فى ليمستوك شخصا تحركه مشاعر من الحقد والكراهية ... شخص يمكن أن يضرب ضربة عشواء ، وأن تصيب ضربته فى الصميم دون أن يدرى ، أننى لأتساءل ماذا يمكن أن يحدث عندئذ يامستر بورتون .

وماكنا نتوقع عندئذ أن مخاوفها ستتحقق وبأسرع مايمكن .



٢

كانت مارى هى التى جاءتنا بنبأ المأساة ، وقد نقلته إلينا فى شىء من الإرتياح لأنها كانت تشعر بميل للكوارث ، وكانت تظهر على وجهها نشوة غريبة عندما تأتينا بأنباء سيئة .

دخلت غرفة نوم جوانا وألقت بصينية الشاى فوق الطاولة ، بجوار الفراش قائلة :

- هذا فظيع .. لم أستطع تصديقه عندما سمعت به .

وإذ سألتها جوانا عن الخبر وهى تحاول أن تفتح عينيها أجابت تقول :

لقد ماتت مسز سيمنتجتون المسكينة .

صاحت جوانا وقد طار النوم من عينيها :

- ماتت !

- نعم ياسيدتى .. ماتت بعد ظهر أمس .. وأسوأ ما هناك هو أنها انتحرت .

- كلا .

وباللذهول فى عين جوانا ، فإن مسز سيمنجتون لم تكن من هؤلاء النساء اللاتى تقدمن على مثل هذا الأمر المفجع .

- هذه هى الحقيقة ياسيدتى .. انها انتحرت .. ومما لاشك فيه أن المرأة المسكينة اضطرت إلى ذلك .

قالت جوانا وقد خمنت ماحدث :

- لعلك لاتريدين القول ..

- نعم ياآنسة .. إنك أصبت التخمين .. إنه أحد هذه الخطابات القذرة ...

- وماذا جاء فيه ؟

واضطرت مارى أن تعترف . آسفة ، بأنها لاتعرف ذلك . وقالت جوانا فى قوة :

- إنها تقولات شائنة ، ولكننى لاأدرى كيف تدفع إلى الأنتحار .

أجابت مارى :

- لاريب أن فيها شيئا من الحقيقة .

وإذ انصرفت مارى شربت جوانا قدحا من الشاى ثم أرتدت ثوبها المنزلى وجاءت إلىّ تنقل الخبر . وفكرت على الفور فيما قاله لى أوين جريفيث ، فقد تنبأ بأن شيئا سوف يقع إن عاجلا وإن آجلا .. وقد صح ماتوقعه وانتحرت مسز سيمنجتون . ومعنى

هذا أنه كان في حياتها سر خفي كانت تحرص على أن لايعرفه أحد ، ولكنها لم تكن قوية الإرادة ، وكانت مريضة وضعيفة ، فلم تستطع احتمال الصدمة .

ولكزتني جوانا بمرفقها وسألتني فيم أفكر ، فأطلعتها على مخاوف أوين فقالت في شيء من الحدة :

- طبعا . كان يعرف أن شيئا كهذا سوف يقع .. أن هذا الرجل يتصور أنه يعرف كل شيء .

- أنه رجل ذكي جدا .

- بل قل أنه مغرور .. مغرور جدا .

واردفت تقول بعد لحظة صمت :

- أنها صدمة عنيفة لزوجها ولابنتها .. انني اتساءل كيف ستتلقى ميجان هذا النبأ.. ألا تظن .. هل يروق لك .. انني اتساءل إذا لم يكن الأفضل أن تبقى يوما أو يومين معنا .. أنها صدمة شديدة بالنسبة لها .

قالت :

- في مقدورنا أن نقترح عليها ذلك .

واستطردت جوانا تقول :

- ليس الأمر صعبا بالنسبة للولدين ، لأن المربية سوف تعنى بهما ، ولكن ميجان رقيقة الشعور ، ولن تستطيع الأحتمال .

وكان هذا رأيي . وقد تصورت السي هوارد تواس ميجان على مر الأيام بكلمات تافهة وتقدم لها العديد من أقداح الشاي في محاولة لرفع روحها المعنوية . وكنت قد فكرت أنا نفسي في أن أدعو الفتاة لقضاء بضعة أيام معنا ، وسررت جدا اذ خطرت نفس الفكرة لجوانا .

ومضينا إلي بيت سيمنجتون بعد أن فرغنا من تناول الأفطار . وكنا نعاني شيئا

من الأنفعال ، فقد خشينا أن تعزى زيارتنا إلى فضول غير لائق . ولحسن الحظ كان أوين جريفيث خارجا من البيت فى نفس اللحظة التى وصلنا فيها . وكان يبدو متجهما ومهموما . وقال لى فى ود دهشت له :

- صباح الخير يابورتون . يسرنى أن أراك . لقد وقع ماتوقعته ، وانه لشىء محزن.

- صباح الخير يادكتور جريفيث .

نطقت جوانا بهذه العبارة فى صوت مرتفع كما لو كانت تخاطب شخصا به صمم . وأجفل جريفيث . ولكنه رد على تحيتها وهو مضطرم الوجه . وقالت له أختى بكل بساطة :

- حسبتك لم ترنى .

تمتم يقول وقد ازداد احمرارا :

- هذا صحيح .. كنت مشغول البال ولم أرك .

عادت تقول فى غير رحمة :

- ومع ذلك فأن حجمى طبيعى .

نظرت إليها عاتبا وأسرعت أقول :

- كنت اتساءل أنا وأختى إذا لم يكن من الأنسب أن نستضيف ميجان يوما أو يومين ، فما رأيك ؟ .. لاأريد أن أبدو كأننى أتدخل فيما لايعنينى ، ولكن الأيام القادمة ستكون شديدة الوقع على هذه الفتاة . فهل تظن أن سيمنجتون يقبل هذا الأقتراح ؟

قال بعد لحظة تفكير :

أظن أن هذه فكرة رائعة . أنها فتاة شديدة الحساسية ، ومن الأوفق أبعادها عن هذا الجو بعض الوقت . أن مس هولاند تبدى نشاطا كبيرا ولم تفقد جأشها ، ولكن

لديها مايكفيها مع الولدين ومع سيمنجتون نفسه .. أن الرجل المسكين محطم تماما

سألته :

- هل انتحرت حقا ؟

ليس هناك أى شك فى ذلك . أنها تركت ورقة صغيرة كتبت فيها تقول " اننى لاأستطيع " . وقد جاء الخطاب فى بريد بعد ظهر أمس ، ووجدنا الظرف على الأرض بجوارها ، والخطاب مكورا فى موقد المدفأة حيث ألقت به وقد ملأه مرسله بالأكاذيب ويقول فيه ضمن مايقول أن ابنها كولان ليس ابن سيمنجتون .

قلت مذهولا :

- هل تظن أن هذا صحيح ؟

هز جريفيث كتفيه وقال :

- اننى لاأقيم بالقرية إلا منذ خمس سنوات ، ولاأستطيع أن اؤكد شيئا . ولكن المعروف أن سيمنجتون وزوجته زوجان سعيدان . وصحيح أن كولان الصغير لايشبه أباه، فهو أشقر ، ولكن هذا لايدل على شيء فإن المعروف عادة أن الأولاد يشبهون أجدادهم على الأكثر .

قلت :

- من المحتمل أن عدم شبه الولد لأبيه هو الذى حمل كاتب الخطاب على مثل هذا الاتهام . انه لم يكن واثقا من شيء ، ولكنه رأى أن يجازف على كل حال .

قال جريفيث :

- هذا رأيى ، فإن كاتب هذه الخطابات لايأتى باتهامات محددة ، وإنما يأتى بها كيفما أتفق .

قالت جوانا :

- ويحدث أحيانا أن يصيب الحقيقة ، لأنه لو لم يكن الأمر كذلك هذه المرة لما

انتحرت .

أجاب جريفيث :

- لست متأكدا تماما ، فإن صحتها لم تكن كما يجب منذ بضعة أيام . وكانت تعانى من انهيار شديد ، ومن المحتمل أنها أصيبت بصدمة عنيفة عندما قرأت ذلك الخطاب ، ولعلها قالت أن زوجها لن يصدقها أبدا إذا حاولت أن تنكر هذا الأتهام ، وأظن أنها أقدمت على الانتحار وهى فى حالة يأس وغير متمالكة لقواها العقلية تماما.

قالت جوانا :

- معنى هذا انه انتحار فى لحظة جنون مؤقت كما يقول رجال القانون .

- تماما . واعتقد أن هذه هى النظرية التى سأدلى بها فى جلسة التحقيق .

واستأذننا فى الانصراف عقب ذلك ، فى حين دخلنا ، أنا وجوانا البيت ، إذ كان الباب مفتوحا . وفى الداخل ، سمعنا صوت مس هولاند ، وكانت تقول :

- أؤكد لك يامستر سيمنجتون أنه يجب أن تتناول شيئا . أنك لم تتناول العشاء أمس ، ولاالأفطار صباح اليوم . وإذا لم تأكل شيئا فلن تستطيع الصمود ... لقد قال الطبيب أنك بحاجة إلى كل قواك .

أجاب سيمنجتون فى صوت واهن ضعيف :

- أنك كريمة جدا يامس هولاند .

- إليك هذا القدح من الشاى الساخن .

قال :- شكرا لك يامس هولاند لكل مابذلت من أجلنا . أنك رائعة .

- هذه مكرمة منك يامستر سيمنجتون . اننى لاأريد إلا أن أخدم . ولاتشغل بالك بالولدين ، فسوف اهتم بهما . وقد أشرفت على الخدم ، وإذا كانت هناك خطابات تريد املاءها أو مكالمات تليفونيه، فلا تتردد .

واستدارت في هذه اللحظة ورأتنا ، وكنا لانزال واقفين بالبهو ، فأسرعت إلينا على الفور . وخاطبتها جوانا قائلة :

هل أستطيع أن أتحدث إليك لحظة ؟ ... اننى لاأريد ازعاج مستر سيمنجتون .

هزت مس هولاند رأسها بالموافقة ، وتقدمتنا إلى غرفة الطعام حيث قالت :

- كانت الصدمة عنيفة لمستر سيمنجتون وغير متوقعة ... لم نكن نتوقع شيئا كهذا ، وأرى الآن أنها كانت غريبة الأطوار فى الأيام الأخيرة . وكنت أظن أن ذلك بسبب صحتها على الرغم من أن الدكتور جريفيث كان يقول أن صحتها جيدة .... كانت ..

قاطعتها جوانا قائلة :

- اننا أتينا لكى نسأل إذا لم يكن فى استطاعة ميجان أن تقضى بضعة أيام معنا... هذا إذا كانت تقبل طبعا .

وبدا أن هذا الأقتراح أثار دهشة مس هولاند ولكنها قالت :

- ميجان ؟ الحق اننى لاأدرى .. أنها فتاة غريبة الأطوار هى الأخرى .. ولكن .. لابد لى أن أهتم بالولدين .. وهما الآن مع الطاهية .. ثم هناك مستر سيمنجتون ، وهو بحاجة إلى رعاية تامة .. ويجب أن اهتم بأمور أخرى كثيرة كذلك بحيث لاأستطيع أن أكرس شيئا من وقتى لميجان .. أظن أنها فوق ، ويبدو لى أنها تحاول الهرب من الجميع ... لاأدرى إذا ...

ولم أسمع البقية ، فقد نظرت جوانا إلىّ وغمزتنى خفية فأسرعت بالخروج من الغرفة فى صمت وسكون . وصعدت إلى الطابق الأول، ووجدت ميجان فى غرفة شبه مظلمة ، وكانت متكومة فوق اريكة ، وتبدو كأن الخوف قد شل حركاتها ، وفكرتنى بحيوان مذعور تكوم فى مخبأ مؤقت . وقلت فى رفق :

- ميجان !

ونظرت إلىّ وهى جامدة فى مكانها ، كما لو أنها لم تستطب وجودى . وعدت أقول :

- ميجان ! .. اننى جئت ، أنا وجوانا ، نسألك إذا كنت تحبين الإقامة معنا بعض الوقت .

أجابت فى صوت أجش :

- الإقامة معكما ؟ .. فى بيتكما ؟

- نعم .

- أصحيح ماتقول ؟

- نعم يابنيتى .

راحت ترتجف . وكان منظرها يدعو إلى الرثاء حقا . وقالت :

- أوه .. خذنى من هنا ، أرجوك .. لو تعرف كم أشعر بأننى شقية وتعيسة !

وبعد دقائق عدت أنا وجوانا إلى البيت ، ترافقنا ميجان وقد أخذت معها حقيبة صغيرة أودعتها ماتحتاج إليه .

* * *

الفصل السادس

١

بعد ثلاثة أيام انعقدت جلسة التحقيق ، وقد حضرها جمع غفير ، وثبت فيها أن مسز سيمنجتون ماتت فيما بين الساعة الثالثة والرابعة من بعد الظهر . وكانت وحدها بالبيت . وكان مستر سيمنجتون لايزال موجودا فى مكتبه ، وكان اليوم يوم أجازة الخدم ، وكانت مس هولاند قد خرجت مع الولدين إلى الحديقة فى حين خرجت ميجان بدراجتها .

ولم يكن هناك ريب فى أن الخطاب جاء بعد الظهر ، وإن مسز سيمنجتون أخذته من صندوق البريد وقرأته ، ثم خرجت فى لحظة جنون إلى كشك البستانى وأخذت كمية من السيانور الذى يستخدم فى قتل الزنانير ، وأذابته فى كوب من الماء بعد أن كتبت فى ورقة صغيرة : أننى لاأستطيع ...

وأدلى أوين جريفيث بأقواله فى نفس المعنى الذى ذكره لنا أنا وجوانا . وجاءت النتيجة كما كنا نتوقع ، فقد أجمع أعضاء هيئة التحقيق على أن مسز سيمنجتون انتحرت فى لحظة جنون .

وفيما نحن نخرج من قاعة التحقيق ، سمعنا الناس يتحدثون ، وكان أحدهم يقول: لايوجد دخان من غير نار .. ومن المؤكد أنه كان هناك شىء ما ولولا ذلك ماانتحرت...

وعدت إلى البيت كارها ليمستوك وضيق أفق أهاليها وإشاعاتهم المغرضة .



من العسير أن يتذكر المرء الأحداث حسب تسلسلها الحقيقى . ولكن أهم حدث وقع بعد ذلك هو زيارة القوميسير ناش لنا ، وان كانت هناك بعض المقابلات التى سبقت زيارته لنا ، وإذا كنت اتحدث عنها قبل زيارة القوميسير فذلك لأنها تلقى أضواء على بعض الشخصيات المشتركة فى هذه القضية .

وقد أقبلت ايميه جريفيث إلى البيت فى صباح اليوم التالى لجلسة التحقيق . وكانت تتفجر صحة وعافية ، كما هى الحال معها دائما . ولما كانت جوانا فى الخارج مع ميجان فقد اضطررت إلى استقبالها . وبادرتنى تقول بعد تبادل تحية الصباح :

- علمت أن ميجان موجودة معكما .

قلت :- هذا صحيح .

- هذا عمل طيب من ناحيتكما . ولكن أظن أنها متضايقة بما فيه الكفاية . وقد جئت لكى أقول لكما أن فى استطاعتها أن تقيم عندنا إذا أردتما ، واننى واثقة اننى سأجد وسيلة لكى تكون نافعة فى البيت . ونظرت إليها فى إشمئزاز وقلت :

- أنك كريمة جدا حقا . ولكننا سعيدان جدا بوجودها معنا ، وأظن أنها تجد مايشغل أوقاتها .

- لست أشك فى هذا . ولكنها ، على كل حال ، فتاة متخلفة قليلا ...

- أما أنا فإننى أجدها متوقدة الذكاء .

نظرت ايميه جريفيث إلىّ فى دهشة وصاحت :

- هذه أول مرة أسمع فيها مثل هذا القول ، فإنك إذا تحدثت إليها نظرت إليك فى غموض كأنها لاتفهم شيئا .

- لاريب أنها تفعل ذلك لأن الحديث لايثير اهتمامها .

إذا صح هذا فأنها لتكون سيئة الأدب حقا .

- هذا جائز ، ولكن لادخل لهذا بذكائها .

عادت اميه جريفيث تقول فى صوت حاد :

- مهما يكن من أمر فلابد لها من شىء تشغل به وقتها ويجعلها تحس بحلاوة الحياة . لايمكنك أن تدرك مدى ماتشعر به الفتاة من تغيير عندما تنتمى إلى فرقة المرشدات . وقد كبرت ميجان بحيث لايجب أن تضيع وقتها فى الكسل وفى عبث لاطائل منه .

قلت : - ماكان فى وسعها أن تفعل غير ذلك فإن أمها كانت تعاملها كما لو أنها كانت فى الثانية عشرة من عمرها .

أنت اميه جريفيث بصوت أشبه بالشخير وقالت :

- أننى أعرف ذلك ، ولم أكن أوافقها أبدا على هذه الطريقة . ولكن المرأة المسكينة ماتت الآن ، ولايجب أن نتكلم عنها بسوء . أنها كانت مثلا كاملا للمرأة الذكية ، ولم تكن تعرف شيئا فيما عدا البريدج وإشاعة الأقاويل والأهتمام بولديها على الرغم من إن المربية كانت هى وحدها التى تهتم بهما . ويجب أن أعترف بأننى كنت احتفظ دائما برأى حسن عن مسز سيمنجتون ، ولم أشك أبدا فى الحقيقة .

- الحقيقة ؟

احمر وجهها وقالت :

- تلك الفضائح التى عرفناها أثناء التحقيق . لقد احزننى ذلك كثيرا من أجل ريك سيمنجتون ... كان الأمر فظيعا بالنسبة له حقا .

اعترضت قائلا :

- ولكن ألم تسمعيه يقول انه لايوجد ظل من الحقيقة فى كل ماقيل ، وانه شديد الثقة فيما يقول .

- ماكان فى وسعه أن يقول غير ذلك . إن واجب كل رجل أن يدافع عن ذكرى

زوجته ، وهذا مافعل .

واردفت تقول بعد لحظات من الصمت :

- أنني أعرف ريك سيمنجتون منذ وقت طويل .

وادهشني منها هذا التصريح وقلت :

- ولكن أخاك قال لى أنه لم يأت للإقامة هنا إلا منذ بضع سنوات فقط .

- هذا صحيح . ولكن ريك سيمنجتون كان يزورنا حيث كنا نقيم . ونحن أصدقاء قدامى . وهو رجل شديد الاباء والتحفظ ، ولكنه حساس وغيور .

- لاعجب إذن إذا كانت زوجته قد خافت أن يرى الخطاب الذى جاءها أو أن تحدثه به . ولاريب أنها خشيت أن تدفعه الغيرة إلى الأعتقاد بجرمها .

نظرت مس جريفيث إلىّ فى إزدراء وقالت :

- هل تظن أن هناك امرأة فى العالم تنتحر بالسم خوفا من إتهام باطل ؟

- لقد اعتقد قاضى التحقيق ذلك ، وكذلك أخوك ، فقد ...

قاطعتنى قائلة :

- أن الرجال كلهم يتشابهون . أن الضرورى بالنسبة لهم هو إنقاذ الظواهر . أما أنا فلا يمكن خداعى ، فعندما تتسلم امرأة رسالة من غير توقيع وليس هناك ماتلام عليه ، فكل مايمكن عمله هو أن تضحك وأن تلقى بها فى النار . وهذا هو نفس مافعـ..

وترددت لحظة قبل أن تكمل عبارتها قائلة :

- ماكنت أفعل .

وهكذا استدركت الأمر بلباقة ، ولكننى كنت واثقا تماما من أنها أوشكت أن تقول

ولم يسعها إلا أن تعترف ، فقد كانت من تلك النسوة اللاتى يتجنبن الكذب وقالت :

نعم . تسلمت خطابا ، ولكنه لم يثر فى نفسى أى جزع .

- أكان خطابا خبيثا ؟

وكنت قد تكلمت بكل رفق ، شأن الرجل الذى تعرض لنفس المشاكل والهموم وأجابتنى تقول :

- طبعا . فإن هذه الخطابات خبيثة دائما . ماأن قرأت بضع كلمات حتى فهمت ماهناك وألقيت به فى النار على الفور .

- ألم يخطر لك أن تذهبى إلى البوليس ؟

- كلا . رأيت أن من الأوفق ألا أعلق عليه أية أهمية .

رأيت أن أغير مجرى الحديث فقلت وأنا أعود إلى ميجان :

- هل تعرفين الموقف المالى لميجان ؟لست أسأل بدافع الفضول وإنما لأننى أحب أن أعرف إذا كان من الضرورى أن تكسب قوت يومها .

- لن أزعم هذا ، فأن جدتها لأبيها خلفت لها دخلا يفى بجميع احتياجاتها فيما اعتقد . وحتى إذا كانت أمها لم تترك لها شيئا فأن ريك سيمنجتون سيضمن لها سقفا تعيش تحته ... كلا .. أن المسألة بالنسبة لى مسألة مبدأ .

- كيف هذا ؟

- يجب على كل امرىء أن يشتغل .. رجلا كان أو امرأة . فليس هناك أفضل من العمل . أن البطالة خطيئة لاتغتفر ، ويكفى أن أباها ...

وامسكت ولزمت الصمت مكرهة ، ولكننى قلت استحثها :

- ماذا عن أبيها ؟ ماذا فعل ؟ ... أما زال على قيد الحياة ؟

- إذا أردت الحقيقة فأننى لاأدرى . كل ماأعرفه هو أنه كان رجلا حقيرا ، غير

طبيعى ... قضى جزءا من حياته فى السجن ، ولهذا لايدهشنى أن تكون ميجان غير متزنة .

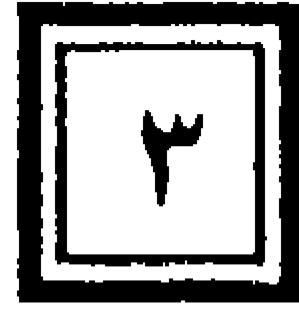
قلت محتجا :

- ان ميجان فتاة عاقلة متزنة مثلى ومثلك . وأكرر لك أنها متوقدة الذكاء . وهذا رأى أختى أيضا ، وهى تحبها كثيرا هى الأخرى .

- لاريب أن أختك تشعر بالضجر والسأم هنا . نطقت اميه بالعبارة الأخيرة فى رفق . ولكننى على الرغم من ذلك ، تأكدت أنها لاتحب أختى أبدا واردفت تقول :

اننى اتساءل كيف خطر لكما أن تأتيا للإقامة فى هذا الجحر المفقود .

أجبت :- أمر الطبيب .



ألتقيت بسيمنجتون فى نفس اليوم ، فى المدينة . وقلت له :

- أظن أنه ليس هناك مايمنع من أن تبقى ميجان معنا بعض الوقت . ستكون زميلة لأختى التى حرمت من أصدقائها وتجد نفسها وحيدة .

قال :- ميجان ؟ .. هل تتحدث عن ميجان ؟ ... أنها لمكرمة منكما أن تستضيفاها .

أحسست ، ابتداء من هذه اللحظة بكراهية شديدة نحو سيمنجتون ، لم أستطع التغلب عليها أبدا ، فقد كان واضحا أنه نسى ميجان تماما . وماكنت لأشعر بأى استياء من ناحيته لو أنه لايحبها ، أما أن يتجاهلها فلا . فهناك أناس لايحبون الكلاب ، ولكنهم يطيقونها فى بيوتهم مع ذلك ، ولايشعرون بها إلا إذا جاءت وتمسحت فى أقدامهم ، وهم أما يسبونها عندئذ وأما يداعبونها . وكانت مشاعر سيمنجتون نحو ميجان من هذا النوع وقد حقدت عليه كثيرا لعدم اهتمامه بها .

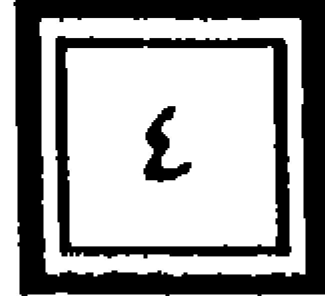
وقلت أسأله :

ماذا تنوى أن تفعل بها ؟ .

- بميجان ؟

ونظر إلىّ مذهولا ، وأجاب يقول بعد لحظة :

- ياالهى ! لاشىء . سوف تعيش معنا فى البيت ، فهى فى بيتها على كل حال .



أقبلت اميلى بارتون لزيارتنا بعد أن فرغنا من تناول الشاى ، وأخذنا نتحدث عن الحديقة نحو نصف ساعة ، ثم انتقلت إلى موضوع آخر فقالت وقد خافتت من صوتها :

- أرجو ألا تكون ميجان المسكينة قد تأثرت كثيرا بسبب هذه المأساة الفظيعة .

- أتعنين موت أمها ؟

- طبعا . وأعنى الظروف التى أحاطت بموتها كذلك . أننى واثقة أن مسز سيمنجتون ... أن ماجاء فى ذلك الخطاب لم يكن إلا فرية بغيضة لاظل لها من الحقيقة ، ولاأستطيع أن أفهم لماذا يكتب صاحبنا المجهول مثل هذه الخطابات .

- لاريب أنه مختل العقل .

- أنه لأمر محزن .

- ليس أمرا محزنا فحسب وإنما هو أمر فظيع.قالت مس بارتون فى صوت كان أشبه بالهمس :

- يقول الناس أن مسز كلينت هى التى تكتب هذه الخطابات ، ولكننى لاأستطيع أن أصدق ذلك .

هززت رأسى غير مصدق . واستطردت هى تقولواضطرابهايزداد من وقت لآخر :

- هذه أول مرة يرسل فيها أحد مثل هذه الخطابات فى ليمستوك. كانت قبل ذلك

مدينة صغيرة ترفرف عليها السعادة ، وانني لأتساءل ماذا كانت تقول أمي في هذا الصدد ؟ . أحمد الله على أنه وفر عليها هذه المحنة

وسألتها في شيء من التردد إذا كانت قد تسلمت خطابا من هذا النوع فأحمر وجهها وصاحت :

- أوه .. كلا . ياله من افتراض بشع .

واعتذرت لها ، ولكنها كانت لاتزال واقعة تحت تأثير انفعال شديد عندما غادرتني بعد دقائق .

وعندما عدت إلى البيت وجدت جوانا واقفة أمام المدفأة ، وقد أشعلت النار ، فقد كان الطقس لايزال باردا ... وكانت تمسك في يدها خطابا لوحت به قائلة :

- انني وجدت هذا الخطاب في صندوق البريد ، ولكن موزع البريد لم يأت به ، وإنما وضعه شخص في الصندوق . وهو يبدأ بهذه الكلمات : " أيتها الدمية الدميمة المخضبة " .

- وماذا يقول غير ذلك ؟ ..

كشرت جوانا قائلة :

- البذاءات التي تعرفها .

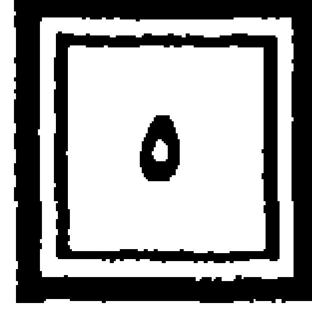
وألقت بالخطاب في الموقد ، فأسرعت والتقطته قبل أن تمسك به النار وأنا أصيح :

- لا تحرقيه .. أنه مستند قد نحتاج إليه .

وكيف ذلك ؟

سوف نقدمه إلى البوليس .

* * *



أقبل القوميسير ناش لزيارتنا فى صباح اليوم التالى . وقد أحسست بالميل إليه على الفور . وكان طويل القامة ، عسكرى المظهر ، يبدو عليه الأتزان والهدوء .

وقال بعد أن قدم نفسه :

- أظنك تعرف يامستر بورتون السبب الذى أتيت من أجله ؟

- أظن أنه تلك الخطابات المجهولة ؟

- تماما . هل جاءك خطاب منها .

- نعم . عقب قدومنا هنا بقليل .

- وماذا كان مضمونه ؟

بذلت جهدا ذهنيا وأعدت عليه فحوى الخطاب بالحرف تقريبا . وأصغى القوميسير إلىّ وهو جامد الوجه ثم قال :

- آه .. وهل احتفظت بهذا الخطاب ؟

- كلا . وأنى آسف لذلك ، ولكننى حسبته تعبيرا لمشاعر شخص حقود ساءه أن نأتى للإقامة فى المدينة .

هز القوميسير رأسه دلالة على الفهم وقال :

- هذا أمر يؤسف له .

قلت :

- ولكن أختى تسلمت خطابا أمس ألتقطته من النار قبل أن تمسك به .

- أشكرك يامستر بورتون .. انك قمت بعمل جميل حقا .

وأتيت بالخطاب من درج المكتب ، وقرأه ناش فى أهتمام ثم قال :

- هل كان الخطاب الأول يشبه هذا ؟ .. أعنى مظهره الخارجى ؟

- نعم . بقدر ماأذكر .

- بنفس الأختلاف الذى بين الظرف وبين الرسالة نفسها ؟

- نعم . كان الظرف مكتوبا على الآلة الكاتبة . أما الرسالة نفسها فكانت عبارة عن كلمات مطبوعة الصقت فوق قطعة من الورق .

دس ناش الخطاب فى جيبه وقال :

- هل لك أن تصحبنى حتى القسم يامستر بورتون ؟ سنعقد اجتماعا هناك يوفر علينا الكثير من الوقت . وفى القسم ، وجدت سيمنجتون وجريفيث ، وكانا قد سبقانا هناك . وكانا يتحدثان مع شرطى بملابس ملكية له فك ضخم عريض قدمه ناش إلىّ قائلا :

- المفتش جريفس ، وقد أقبل من لندن لمساعدتنا . أنه اخصائى فى مثل هذا النوع من القضايا .

ابتسم المفتش جريفس ابتسامة صغيرة مريرة . وقلت لنفسى أن تكريس الوقت فى البحث عن أناس يكتبون خطابات مجهولة عمل بغيض ، ولا ريب أن هذا هو سبب حزن المفتش . وقال فى صوت حزين :

- أن كل هذه القضايا تتشابه . والخطابات كلها واحدة ، وتقول نفس الأشياء ، وبنفس الكلمات .

وكان هناك عدد من الخطابات موضوعا فوق المكتب . وقال ناش :

- أن من العسير الحصول على الخطابات ، فان الذين يتلقونها يلقونها فى النار أو لايريدون الاعتراف بأنهم تلقوا شيئا منها ، وهذا غباء منهم ، ولكنهم لايريدون أن يتدخل الناس فى شئونهم .

وأخرج الخطاب الذى أعطيته له وناوله لجريفس ، فقرأه هذا الاخير ثم وضعه مع الرسائل الأخرى وهو يقول :

هذا جميل جدا . أن لدينا الآن خطابا تلقاه مستر سيمنجتون منذ أكثر من شهرين ، ولدينا خطاب تلقاه الدكتور جريفيث وآخر لمسز جينش ورابع لمسز مودج ، زوجة الخباز وخامس لمسز جنيفر كلارك ، الخادمة .. أضف إليها ذلك الذى تلقته مسز سيمنجتون وذلك الذي تلقته مس بورتون ثم الذى تلقاه مدير البنك .

قلت

مجموعة جميلة !

قال جريفس :

– ولكننى اؤكد لك أنها تذكرنى كلها بخطابات أخرى غيرها ، فهذا الخطاب مطابق لذلك الذى تلقته صانعة القبعات ، وهذه صورة طبق الأصل لذلك الذى أهتممنا به فى مقاطعة نورثمبرلند ، وقد كتبتها طالبة . اؤكد لك اننى أعطى الكثير لكى أرى شيئا جديدا .

سأله سيمنجتون :

– هل كونت لنفسك رأيا عن كاتبها ؟

– هناك بعض النقاط المشابهة فى كل منها ، فإن كلمة منها مكونة من حروف مطبوعة متفرقة أخذت من كتاب قديم مطبوع فى نحو سنة ١٨٣٠ . وقد أقدم الراسل على هذه الطريقة حتى لايستطيع أحد التعرف عليه بعد أن أصبح من اليسير للخبراء معرفة أصحاب الخطوط من خطهم . ولاتوجد على الخطابات أية بصمات هامة لأن أيادى كثيرة تداولتها فى مصلحة البريد ، ولاتدل إلا على أن الراسل كان يلبس قفازا والعناوين مكتوبة على آلة كاتبة من طراز وندسور رقم ٧ ، بها حرفان متآكلان هما حرف الألف وحرف التاء . وقد ألقيت بعض الخطابات فى بريد ليمستوك وألقى البعض الآخر فى الصناديق الخاصة بأصحابها باليد ، وهذا يدل على أن القضية محلية . وقد كتبتها امرأة ، ومن رأيى أنها امرأة متوسطة السن ، وأظن أنها لم تتزوج بعد .

وساد صمت قصير قطعته قائلا :

أظن أن الآلة الكاتبة هى فرصتنا الوحيدة ، فلن يكون من العسير علينا فى بلدة صغيرة كهذه أن نعثر عليها .

قال المفتش جريفس :

- هذا صحيح . وقد اكتشفنا الآلة الكاتبة فعلا وهى آلة قديمة أهداها مستر سيمنجتون إلى المعهد النسائى بليمستوك ، وهى موجودة تحت تصرف الجميع .

- ألم تدلكم طريقة الكتابة على شىء ؟

- كلا . كل ماالستدللنا عليه هو أن العناوين بأصبع واحد .

- هذا يدل على أن الكاتب غير متمرن على الآلة الكاتبة .

- أو أنه متمرن ويحاول خداعنا . أن الكاتب يعرف كل الخدع ، وأستطيع أن أزيد فأقول أنه امرأة ، وأنها تعرف كل الحيل ، وأنها فوق ذلك سيدة .

- ماذا تعنى ؟

خرج السؤال رغما عنى ، فقد قال أن الكاتب امرأة ثم عاد فقال أنها سيدة ، ولم أر الفرق بين الكلمتين لأن دلالتهما واحدة ، ولكن القوميسير ناش تطوع فقال :

- ليكن مفهوما أن المفتش يعنى بكلمة سيدة أن المرأة تلقت حظا من الثقافة وأنها تعرف حروف الكتابة وتملك موهبة خاصة ..

ولزمت الصمت وقد تلقيت صدمة ، فإن المدينة كانت صغيرة ، وقد خطر لى على الفور أن الكاتبة ربما تكون مسز كلينت أو امرأة أخرى من نفس النوع .. امرأة شريرة وحاقدة وعلى شىء من الغباء . وقال سيمنجتون :

- هذا يضيق نطاق المشبوهين ، فلا يمكن أن يكونوا أكثر من عشرة أشخاص على الأكثر .

- هذا رأيى أنا الآخر .

صاح سيمنجتون :

- لاأستطيع أن أصدق هذا . لعلكم تتذكرون ماقلت أثناء جلسة التحقيق ليكن معلوما اننى لم أقل ذلك لمجرد الدفاع عن ذكرى زوجتى العزيزة . واننى أريد أن أقول الآن بكل صدق وإخلاص اننى أعتبر الاتهامات التى جاءت بذلك الخطاب الذى تلقته زوجتى باطلة ولاأساس لها من الصحة . أنها اتهامات بشعة ، وقد كانت زوجتى مخلوقة شديدة الحساسية ... وشديدة الحرص ... ولاريب أنها تلقت بذلك الخطاب ضربة هائلة .. وأنتم تعرفون أن صحتها لم تكن على مايرام .

ونهض سيمنجتون وهو يرتجف لفرط الأنفعال والغضب ، واستطرد يقول :

- أرجو أن تلقوا القبض على الشيطان الذى كتب هذه البذاءات بأسرع مايمكن .. ان هذه المرأة ، إذا كانت امرأة كما تقولون ، قد قتلت زوجتى ، تماما كما لو كانت قد طعنتها بخنجر .

وأردف يقول بعد صمت قصير :

- واننى لأتساءل بماذا يمكن أن تشعر الآن ؟

وخرج على أثر ذلك . ونظرت إلى القوميسير والمفتش فى شىء من الضيق وسألتهما أن كانا بحاجة إلىّ ، فقد ثقل علىّ الجو فجأة واردت أن أتنفس الهواء النقى. وأجابنى ناش قائلا :

- يمكنك أن تنصرف يامستر بورتون ، ولكن افتح عينيك جيدا وقم بالدعاية من أجلنا وقل لجميع من حولك أن يأتونا بكل مايتلقون من خطابات من هذا النوع .

وعدته بما يريد،وأردفت أقول ان ما من أحد فى ليمستوك إلا وقد تلقى خطابا من هذه الخطابات الملعونة ، فقال جريفس :

- هذا ماأريد أن أتأكد منه . هل تعرف إذا كان هناك أحد لم يتلق رسالة من هذا النوع .

- هذا سؤال عجيب . أن الأهالى لايدلون إلىّ بأسرارهم ، ومع ذلك ...

وأعدت عليه الحديث الذى دار بينى وبين مس اميلى بارتون ، فقال :

قد تفيدنا هذه المعلومة

وغادرت القسم ، أنا واوين جريفيث . وأطلقت صيحة ارتياح وقلت :

ياالهى ! .. هذا مكان كئيب ، الهواء فيه مثقل بالسموم ، على الرغم من أنه هادىء وبرىء كجنة الفردوس .

قال جريفيث :

- كان فى الجنة ، هى الأخرى ، ثعبان .

سألته :

- هل تعتقد أنهم يعرفون شيئا ياجريفيث ؟ .. هل يعرفون إلى أية ناحية يوجهون أبحاثهم ؟

أجاب :

لاأدرى . ولكننى كبير الثقة بناش ، فهو رجل قدير ، وإن كان لايمكن معرفة مايدور فى ذهنه .

وكنا قد بلغنا شارع هاى ستريت فتوقفت أمام مكتب سمسار العقارات وقلت :

- أظن أنه يجب أن أدفع القسط الثانى من الإيجار مقدما . كم أود أن أسدده الآن وأن أغادر المدينة بأسرع مايمكن غير عابىء بما دفعت من مال .

ألقى أوين يده على ذراعى قائلا :

- لاتدخل .

- لماذا ؟

لم يجب على الفور ، وعندما تكلم قال :

- لعلك على حق على كل حال . أن ليمستوك مكان غير سليم فى الوقت الحالى ، وقد تلحق هذه القصص الضرر بك أو بأختك .

أن جوانا لاتحفل بهذا الأمر على الإطلاق ، وأن لديها من قوة الإحتمال مايمكنها من مواجهة كل شيء . وإذا كان هناك من لايستطيع الإحتمال فهو أنا . ويجب أن أعترف بأننى أصبحت أنوء بكل هذه القصة .

- لست وحدك فى ذلك .

ووضعت يدى على أكرة الباب وقلت :

- ولكننى لن أرحل مع ذلك ، فأن فضولى أقوى من جبنى . وسأبقى لأننى أريد أن أعرف كيف ينتهى كل هذا .

ودخلت .

وتركت سكرتيرة آلتها الكاتبة وخفت لاستقبالى ، وكانت متدللة جدا بشعرها المتموج ، ولكننى وجدتها أكثر ذكاء من الفتاة ذات النظارات التى أدخلتنى إلى مكتبها . ولم ألبث أن عرفت فى تلك السكرتيرة مس جينش ، السكرتيرة السابقة لسيمنجتون . وسألتها :

- أنك اشتغلت قبل ذلك فى مكتب المحامى سيمنجتون ؟

- نعم . ولكننى فضلت مغادرته . أن المرتب هنا أقل ولكن هناك أشياء أغلى من المال . وأظنك تعرف ذلك .

- ليس هناك أى شك فى هذا .

واستطردت تقول فى صوت كالهمس :

- اننى تلقيت إحدى هذه الرسائل البشعة ، وهى تتهمنى بأفظع الكلمات بوجود علاقة بينى وبين مستر سيمنجتون . ولحسن الحظ أننى أعرف واجبى ، وقد أسرعت وذهبت الى البوليس ، على الرغم من أن هذه الخطوة كانت بغيضة جدا إلى نفسى . وهناك شكرونى ، وقالوا لى أننى أحسنت صنعا . وقد وجدت أن أسلم شيء هو أن أضع حدا للأقاويل فتركت خدمة مستر سيمنجتون .. لم يكن بينى وبينه أية علاقة

على الاطلاق

قلت فى ارتباك :

هذا مفهوم طبعا .

أن الناس أشرار . أليس كذلك ؟ . أشرار جدا ..

وعلى غير غرض منى ألتقت عيناى بعينيها ، واكتشفت شيئا أثار دهشتى عندئذ ، فإن مس جنيش كانت تستمتع برواية هذه القصة المزعجة .

وغادرت المكتب وأنا أتساءل إذا لم تكن مس جنيش هى التى تكتب هذه الخطابات ؟

* * *

الفصل السابع



عندما بلغت البيت ، وجدت مسز دين كالتروب تتحدث مع جوانا ، وكانت زوجة القس تبدو مريضة ومرهقة . وقالت تخاطبنى :

- أن هذه القصة البشعة أصابتنى بأكبر صدمة فى حياتى . ياللمرأة المسكينة !

قلت :

- أنها مسكينة حقا وجدت نفسها مضطرة إلى الانتحار .

- آه .. هل تتكلم عن مسز سيمنجتون ؟

- نعم . أما كنت تتكلمين عنها ؟

هزت رأسها وقالت :

- طبعا . هذه قصة محزنة جدا . ولكن كان لابد أن يقع هذا ، لهذا السبب بالذات أو لأى سبب آخر .

- طبعا ياعزيزتى ، فعندما يرى المرء أن الانتحار هو الوسيلة الوحيدة للفرار من مشاكله ، يقدم عليه فى أول فرصة . وإذا أردت الحقيقة ، فإنها كانت تفتقر إلى الشجاعة والواقع اننى كنت أعتقد أنها أنانية بعض الشىء وأنها ليست ذكية جدا .

ولكنها كانت تعرف على الرغم من دلك كيف تسوس حياتها بيد أننى أرى الآن أننا لانعلم الشىء الكثير عن الناس الذين نعتقد أننا نعرفهم

ولكن عمن كنت تتكلمين عندما قلت ، ياللمرأة المسكينة .. ؟

كنت أفكر فى تلك الشقية التى كتبت الخطابات .

لو أننى مكانك لأدخرت عطفى ورثائى لمخلوقات جديرات بذلك حقا .

انحنت مسز كالتروب نحوى وألقت يدها على ركبتى قائلة ·

ولكن ، ألا تفهم ؟ .. ابذل جهدا وتصور مبلغ تعاسة هذه المرأة لالشىء إلا لأضطرارها إلى الجلوس أمام مكتبها لكتابة مثل هذه البذاءات . لاريب أنها تحس بأنها وحيدة ومقطوعة عن الجنس البشرى بهذا السم الذى يسرى فى عروقها ويدفعها إلى كتابة ماتكتب لايمكن لأحد أن يتصور مبلغ ماتعانيه تلك المرأة من ضيق معنوى. أن من مبادئى ألا أتدخل فى شئون الغير ، ولكننى فى هذه الحالة بالذات أود لو أستطيع أن أفعل شيئا .. لهذا السبب ارثى لتلك المرأة المسكينة .

ونهضت تبغى الأنصراف . ولم أستطع أن اشاركها مشاعرها ، ولكن الفضول دفعنى إلى أن ألقى عليها هذا السؤال

- ألا تعرفين من يمكن أن تكون هذه المرأة المسكينة يامسز كالتروب ؟

أجابتنى .

أن لدى فكرة فى هذا الموضوع . ولكن من يدرى ؟ لعلى مخطئة .

وبعد أن انصرفت سألتنى جوانا تقول .

- هل تظن أن المرأة التى كتبت هذه الخطابات تعيسة حقا ؟

كل ماأدريه هو اننى أرثى لضحاياها .

وارى الآن أن من العجيب أننا ، بمحاولتنا تصور الحالة الذهنية لكاتبة الخطابات ، أخطأنا جميعا فى تقديراتنا فان جريفيث رأى فيها امرأة بشعة تطفح بشرا وسرورا

بالحاق الأذى بغيرها   ورأيتها أنا امرأة يؤرقها ضميرها فى حين لم تشك مسز دين كالتروب فى أنها امرأة تعيسة . ولم يخطر لأى منا أن يفكر فى أنها كانت خائفة .

ومع ذلك فقد كان الأمر بدهيا .

لقد اتخذت القضية شكلا آخر بموت مسز سيمنجتون فإن موتها وضع كاتب الخطابات فى موقف يحتمل أنه لم يكن يريده وأنه أصبح يخشى اكتشاف أمره ، فلم يكن فى استطاعته عندئذ أن يزعم أن الأمر مجرد دعابة بعد أن هاج البوليس وماج ، وبعد أن أرسلت اسكوتلاند يارد خير اخصائيها .

لقد أصبح الأمر بالنسبة له مسألة حياة أو موت واستولى عليه الخوف .

ولأن الخوف قد استولى عليه فقد أصبحت هناك أمور لامفر منها .

كان هذا واضحا تماما . ولكننى لم أدرك ذلك إلا بعد وقت طويل .



***

هبطنا فى صباح اليوم التالى ، أنا وجوانا ، لتناول الأفطار متأخرين . وساءنى أن وجدت ايميه جريفيث واقفة بعتبة الباب تثرثر مع ميجان . وبادرتنا تقول :

- هل صحوتما أخيرا أيها الكسولان ؟ .. أننى صحوت منذ ساعات .

وانضمت ميجان إلينا فى غرفة الطعام ، وتبعتها ايميه . وقالت تخاطب جوانا :

- أننى أتيت لكى أسألك إذا كان يمكن أن تقدمى بعض الخضر إلى الصليب الأحمر . إذا وافقت فسوف أرسل أوين بالسيارة ..

وصلصل جرس التليفون فى هذه اللحظة فأسرعت إلى الردهة لكى أرد عليه ، تاركا جوانا تتحدث فى شئون الخضر مع مس جريفيث . وأمسكت السماعة وقلت :

آلو ... دقيقة واحدة لاأكثر .

بكل تأكيد .. من أقول لها ؟

قل لها أننى أجنس .. أجنس وادل .

وناديت مارى بصوت مرتفع . وكانت تشتغل فى الدور الأول ، وأقبلت وفى يدها مكنسة قائلة :

نعم ياسيدى .

- أجنس وادل تطلبك فى التليفون .

نظرت مارى إلىّ مصعوقة كما لو كانت لاتصدق ، وتمتمت تقول :

- أجنس وادل .. ماالذى تريده هذه الغبية ؟

وتركت المكنسة جانبا وهبطت السلم مسرعة ، فى حين عدت أنا إلى غرفة الطعام . وكانت مس جريفيث قد فرغت من مهمتها مع جوانا وتفاهمت معها عن أنواع الخضر التى تستطيع أن تأخذها . وما أن انصرفت حتى نظرت جوانا إلىّ وهى تتنفس الصعداء قائلة :

- أنها اتعبتنى . أن هذه المرأة أمرها غريب .. دائمة الحركة ، لاتكل ولاتتعب أبدا.

واقبلت مارى عندئذ وقالت تحدث جوانا وهى تكاد تذوب خجلا :

- أننى اعتذر إليك ياسيدتى ، فإن الفتاة التى كلمتنى فى التليفون ماكان يجب أن تفعل . أنها تعرف تماما أننى لاأستخدم التليفون ، وأننى لاأريد أن يطلبنى أحد . ولكنها غبية . وأننى آسفة ياسيدتى خصوصا وأن السيد قد ازعج نفسه .

قاطعتها جوانا تقول فى رفق :

- ولكن ليس هناك ماتؤاخذين عليه ياماري .

فيم يستخدم التليفون إذا لم يكن للكلام .

نظرت ماري إليها مشدوهة كما لو كانت لاتصدق أذنيها وقالت :

هذه أشياء لم تقع فى هذا البيت أبدا ، وماكانت مس اميلى لتسمح بذلك وأننى أكرر اعتذارى ياسيدتى ، ولكن أجنس وادل المسكينة حائرة ولاتدرى ماذا تفعل.. أنها كانت تخدم فى هذا البيت تحت اشرافى ، وكانت فى السادسة عشرة من عمرها ، وقد جاءتنا من الملجأ ، وهى يتيمة لاأهل لها ، وقد اعتادت ان تسألنى النصح والمشورة .

وسكتت لحظة ريثما تسترد انفاسها ثم عادت تقول :

- وأرجو أن تتكرم سيدتى وتسمح لى بمقابلتها بعد ظهر اليوم فى المطبخ ، وأن اقدم لها فنجانا من الشاى .

أنها تأخذ أجازتها اليوم ، وتريد أن تنتهز الفرصة وتأتى لكى تستشيرنى فى أمر يهمها . ولولا ذلك ماسمحت لنفسى ...

قالت جوانا تقاطعها فى دهشة :

- لاأرى حقا لماذا لايأتى أحد لكى يتناول الشاى معك .

أجفلت مارى وقالت :

- هذا شىء لم يقع من قبل فى هذا البيت ياسيدتى . لم تسمح مس اميلى أن استقبل أحدا فى المطبخ أبدا .

وهزت كتفيها وانصرفت ولسان حالها يقول أن الدنيا تغيرت .

وخرجنا إلى الحديقة ، ووجدنا ميجان تتمشى فى طرقاتها وهى مشغولة البال . وأقبلت نحونا وقالت :

- أظن أننى سأعود إلى البيت اليوم .

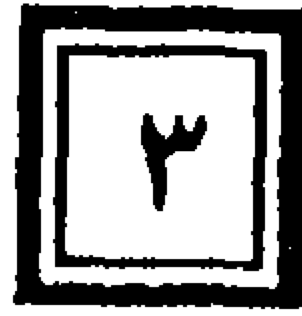
- ماذا ؟

استطردت تقول فى حزم وقد اضطرم وجهها :

- نعم . إنكما كنتما كريمين معى . ولاريب أننى ضايقتكما كثيرا . أننى سعدت جدا بوجودى معكما ، ولكن يجب أن أعود . ومهما يكن فهناك بيتى ، ولا يمكن للمرء أن يغيب عن بيته . ولهذا سأعود صباح اليوم .

وحاولت أنا وجوانا أن نثنيها عن رأيها ، ولكنها كانت عنيدة ، واضطرت اختى أن تمضى إلى الجاراج أخيرا لكى تخرج السيارة ، فى حين صعدت ميجان لتعد حقيبتها .

ولايسعنى الآن إلا الأعتراف بأن رحيل ميجان قد ضايقنى أشد الضيق .



لاريب أن صحبتنا اثقلت عليها أخيرا ، وأعترف بأن لها الحق فى ذلك ، فهى لم تكن بصحبة ممتعة بالنسبة لها . ففى بيتها ستجد نفسها مع الولدين ومع السى هوارد .

وجاء أوين جريفيث لزيارتنا بعد الغداء بقليل ، وقد جاء بسيارته ، وراح البستانى يحملها بسلال الخضر التى أعدها من أجل الصليب الأحمر ، وفى أثناء ذلك دعوت أوين للدخول لكى يتناول كأسا .

وعندما عدت إلى غرفة الطعام ومعى زجاجة الكونياك التى ذهبت لإحضارها وجدت جوانا تقوم " بنمرتها " العادية المعروفة . وكانت قد جلست على الأريكة بجواره وقد اختفى كل أثر للعداء الذى بينهما ، وراحت تصغى إليه فى اهتمام وهو يحدثها عن عمله ويذكر لها لماذا لم يتخصص ، ولماذا آثر الطب العام مؤكدا لها فى صدق وأخلاص أنه يجد كل متعته فى العناية بأمثاله .

ولجوانا عيوبها ، ولكنها تعرف كيف تصغى ، وبعد الكأس الثالثة ، كان يحدثها

عن مهنته مستخدما اصطلاحات طبية لايفهمها غير الطبيب ، ولكنها كانت توليه كل اهتمامها كما لو كانت تفهم كل مايقول .

واحسست بالضيق ، فإن النساء شياطين . ولم يرق لى أن أرى جريفيث الرقيق يسلمها قياده بهذه السهولة .

وكنت قد دعوت أوين لكى يتناول الغذاء معنا فرفض وعادت جوانا فدعته من جديد ، وألحت . وأحمر وجه جريفيث وقال أنه كان يود أن يبقى لولا أن أخته تنتظره فقالت جوانا :

– سنتكلم معها فى التليفون وسأقول لها ..

ولم تترك له الوقت لكى يرد ، وأسرعت إلى الردهة .. ولم تلبث أن عادت بعد قليل وعلى شفتيها ابتسامة وقالت أنها دبرت كل شيء .

وتناول جريفيث الغذاء معنا ، وخيل لى أنه اغتبط لأننا أرغمناه على ذلك . وتحدثنا عن الكتب والمسرح والموسيقى والرسم والنحت . ولكننا لم نتكلم كلمة واحدة عن ليمستوك ولا عن الخطابات المجهولة ، ولا عن موت مسز سيمنجتون . وقد أبدى أوين سروراً كبيرا بالحديث ، وأعترف أنه كان محدثا لبقا .

***



قالت جوانا ونحن نتناول العشاء في تلك الليلة :- ماذا فعلنا بميجان بالله حتى تتركنا هكذا فجأة ... ؟ ترى هل أغضبناها في شيء ؟

- أبدا . ولكن ربما أحست بالضيق ..

- لاأظن ذلك .. يخيل لى أن ايميه قالت لها شيئا .

- أتعنين صباح اليوم ؟ .. عندما كانتا تتحدثان على عتبة الباب ؟

- نعم . انهما تبادلتا حديثا طويلا ، وايميه تتدخل دائما في شئون الغير .

ودخلت مارى في هذه اللحظة فسألتها جوانا إذا كانت قد أحسنت استقبال صديقتها فأجابت وهى واقفة منتصبة القامة :

- أشكرك ياسيدتى . ولكن اجنس لم تأت .

- آه . اننى آسفة .

- لاأهمية لهذا ياسيدتى ومهما يكن فهى التى اتصلت بى ، ولم أتصل أنا بها ، متذرعة بأن لديها شيئا تريد أن تستشيرنى فيه . ولكنها لم تأت ، و - بل أنها لم تتصل لكى تعتذر .. أن فتيات اليوم لايعرفن آداب السلوك .

حاولت جوانا أن تواسيها فقالت :- لعلها أحست بوعكة منعتها من المجيء .. ألم تتصلى بها بالتليفون ؟

- كلا ياسيدتى . أن في مقدورها أن تسيء التصرف فهذا شأنها ، أما أنا فسوف أنتظر حتى ألتقى بها لكى أقول لها رأيى فيها .

وغادرت مارى الغرفة في وقار . وعندما اختفت ضحكنا ، أنا وأختى معا . وانتقلنا بعد ذلك إلى الحديث عن الخطابات ، وتساءلنا إذا كان القوميسير ناش والمفتش جريفس أحرزا نجاحا مافى تحقيقاتهما .

وقالت جوانا :

- لقد مر أسبوع الآن على انتحار مسز سيمنجتون .. وكان يجب أن يعثروا على شيء ما .. بصمات أو أي شيء يؤدي إلى معرفة ذلك الكاتب المجهول .

أجبتها في شرود .. كانت كلماتها " لقد مر أسبوع الآن " قد أيقظت في ذهني أفكارا مبهمة أثارت أهتمامي لأول مرة . ولاحظت جوانا أنني لاأصغي إليها فقالت :

- ماالخبر ياجيري ؟ .. فيم تفكر ؟

لم أجب ، وتركت العنان لأفكاري من جديد . كانت مسز سيمنجتون وحدها في اليوم الذي ماتت فيه . كانت وحدها لأن اليوم كان يوم أجازة الخدم . وقد مر على ذلك أسبوع بالتمام والكمال .

وأعادت أختي سؤالها فقلت لها :- هل يأخذ الخدم أجازة كل أسبوع ياجوانا ؟

- نعم . لماذا ؟

- وهل هو نفس اليوم من كل أسبوع ؟

- نعم . عادة .

وحدجتني مشدوهة وهي لاتدري ما الذي أهدف إليه . ودقتْ الجرس . ولما جاءت ماري سألتها :

- أين تعمل أجنس وادل ؟

- في بيت مستر سيمنجتون ياسيدي .

ألقيت نظرة إلى ساعة الحائط . كانت تشير إلى العاشرة والنصف ، وقالت :-

- لابد أن تكون قد عادت الآن .

وأسرعت إلى الردهة تتبعني ماري التي بدا الغضب في عينيها ، وجوانا وهي شديدة الحيرة . وقالت لي هذه الأخيرة وأنا أدير قرص التليفون :

- ماذا تفعل ياجيري ؟

- أريد أن أتأكد أنها عادت .

وكانت السى هولاند هى التى ردت عليّ فى آخر الخط فقلت لها :

- - يؤسفنى أننى أزعجتك. أنا جيرى بورتون . هل عادت الخادمة أجنس ؟

كنت وما أن ألقيت سؤالي هذا حتى أدركت أننى زججت بنفسى فى حماقة كنت فى غنى عنها ، إذ كيف أفسر هذا السؤال إذا كان كل شيء على مايرام ؟

أما كان من الأوفق أن أترك لجوانا مهمة الاستفسار ؟ ... أننى قدمت لأهالى ليمستوك إشاعة جديدة سأكون أنا وأجنس وادل مادة لها .

وأجابتنى السى هولاند فى دهشة كانت طبيعية من جانبها :

- لابد أن تكون قد عادت طبعا .

- هل يمكن أن تتأكدى من ذلك يامس هولاند ؟

ألقت السى السماعة لكى تذهب إلى غرفة الخدم ، وعادت بعد دقيقتين وقالت :

- آلو .. مستر بورتون .. ؟ أنك على حق .. فهى لم تعد بعد .

أحسست على الفور بأن حدسى لم يخدعنى .. وتناهت بعض الأصوات إلى أذنى ، ثم تكلم سيمنجتون فقال :-

- آلو .. بورتون .. ماالخبر ؟

- أن خادمتكم أجنس لم تعد بعد .

- هكذا قالت لى السى هولاند فهل حدث لها حادث .

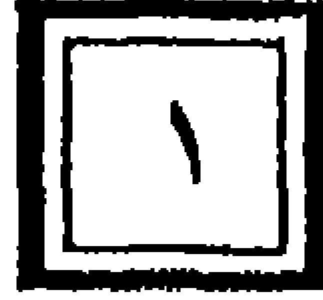
- لاأعتقد أن فى الأمر حادثا .

- ألديك من الأسباب مايحملك على أن تخشى أن يكون قد وقع لها شيء ؟

وقلت له أنه لن يدهشنى أن يكون شيء من هذا قد حدث ...

***

الفصل الثامن



كان نومى مضطربا فى تلك الليلة ، فقد أزعجتنى عناصر القضية المختلفة ، ولو أنى عرفت كيف أفحصها كما يجب فلعلنى كنت أهتدى إلى الحقيقة عندئذ . ورحت أتقلب وأجزاء المعضلة تتراقص فى ذهنى ، فقد كانت الخطابات كلها متشابهة ، وكتبت كلها بأسلوب واحد وعلى نمط واحد . وكنت أعرف أن هناك أثرا لابد وأن يهدينى إلى كاتبها ، وانتهى بى الأمر إلى أن غلبنى النوم أخيرا ، ولكننى استيقظت على رنين التليفون المتواصل فجلست فى فراشى ، وألقيت نظرة إلى ساعتى فإذا بها تشير إلى السابعة والنصف ، فأسرعت إلى الردهة وتناولت السماعة ، وسمعت صوتا يقول :

- آلو !..

- آه .. أهى أنت ؟

وأطلقت تنهيدة ارتياح ، فقد كان صوت ميجان ، ولكنه كان يدل على الأضطراب والخوف . وعادت تقول بعد لحظات :

- تعال .. أرجوك أن تأتى .

- اننى قادم .. هل تسمعين ؟ .. أننى قادم حالا

وأعدت السماعة مكانها وصعدت السلم أربعا أربعا واندفعت الى غرفه حوايا قائلا :

- جو .. أننى ذاهب إلى بيت سيمنجتون .

رفعت جوانا رأسها الشقراء من فوق الوسادة ، ودعكت عينيها وهى تسألنى عن الخبر فقلت :

- لاأدرى .. أنها الصغيرة ميجان .. تكلمت فى التليفون ، وهى شديدة الأضطراب .

- انتظر قليلا إذن .. سأنهض وأذهب بك فى السيارة .

- لاحاجة بك إلى ذلك .. سأقودها أنا .

- هل تستطيع ذلك ؟

- طبعا ..

وقدت السيارة فعلا . ولكن الأمر كان شاقا جدا بالنسبة لى . ولاريب أن ميجان كانت تنتظر قدومى على أحر من الجمر لأنها خرجت من البيت ركضا ، وتعلقت بى بيديها الاثنتين . وكانت شاحبة الوجه ، ترتجف كورقة فى مهب الريح . وصاحت :

- آه .. أنك أتيت .. أنك أتيت .

أجبت :

- تمالكى روعك أيتها الحمقاء الصغيرة .. نعم ، أننى أتيت ما الخبر ؟

- أننى .. أننى وجدتها .

- أجنس .. وأين ذلك ؟

وازدادت اضطرابا وهى تقول :

- تحت السلم .. فى الدولاب الذى نضع فيه مضارب الجولف وأدوات الصيد .

كانت هناك .. وكانت باردة كالثلج .. كانت ميتة .

سألتها : - وما الذى دفعك إلى فتح الدولاب ؟

- لاأدرى . فإننا تساءلنا مساء أمس ، بعد مكالمتك التليفونية : أين يمكن أن

تكون أجنس دهيت ؟ .

وانتظرنا بعض الوقت . ولما لم تأت أوينا إلى الفراش . ولكنني نمت نوما مضطربا وصحوت مبكرة . ولم يكن أحد قد صحا بعد . فيما عدا روز الطاهية . كانت شديدة الغضب من أجنس لأنها لم تأت . وكنت أتناول طعام الإفطار في المطبخ عندما عادت روز وهي مشدوهة وقالت أنها ذهبت إلى غرفة أجنس ووجدت فيها كل ثيابها بما فيها تلك التي ترتديها عند الخروج . وعندئذ خطر لي أنها لم تخرج من البيت إطلاقا ، وبحثت عنها ذات اليمين وذات الشمال . وفتحت الدولاب الذي تحت السلم ... ووجدتها فيه .

- أظن أنك أبلغت البوليس .

- نعم .

وهم موجودون الآن ، وقد أتصل بهم زوج أمي تليفونيا .. أما أنا .. فلم يكن بوسعي أن أفعل أي شيء .. واتصلت بك .. فهل تحقد عليّ ؟

- طبعا لا .. ولكن ألم يفكر أحد في أن يقدم لك قليلا من الكونياك بعد ذلك؟..أو قليلا من القهوة أو الشاي ؟

لم يخطر لأحد أن يفعل ذلك طبعا . ولعنت كل من في البيت .. لم يفكر ذلك البدين سيمنجتون إلا في الإتصال برجال البوليس . ولم يخطر للطاهية ، ولا لأُلسي هولاند أن تفكر في الصدمة التي يمكن أن تحس بها فتاة حساسة على أثر اكتشاف كهذا . وقلت :

- تعالى معي .. سنقوم بدورة في المطبخ .

ووجدت روز هناك فقلت لها :

- قدمي قدحا من الشاي الساخن لمس ميجان فإنها بحاجة إليه ، وأضيفي إليه قليلا من الكونياك ، ولاتنسى أنها هي التي عثرت على الجثة .

وتركت ميجان فى رعاية الطاهية . ثم غادرت المطبخ وأنا أستغرب أمر هذا البيت الذى ينسى فيه الجميع هذه الفتاة المسكينة . وألتقيت بالسى هولاند فى الردهة ولم تبد عليها أية دهشة لرؤيتى ، وإنما قالت لاهثة :

– هذا فظيع يامستر بورتون ... من يمكن أن يكون فعل بها هذا ؟

– فى الأمر جريمة إذن ؟

– ليس هناك شك فى هذا . لقد ضربها القاتل على رأسها من الخلف .. أن هذا فظيع .. وقد تجمد الدم فوق شعرها .. كانت مكومة فى الدولاب . وأننا نتساءل من الذى فعل بها هذا ، ولماذا ؟ ... مسكينة أجنس .. أنها لم تؤذ أحدا أبدا .. أرجو أن تلتمس لى عذرا ، إذ يجب أن أمضى إلى الولدين ، فإن مستر سيمنجتون لايريد أن يعرضهما لأى انفعال .

وما أن اختفت عن ناظرى حتى سمعت بابا يغلق فى الدور الأول ، ولم يلبث أن هبط القوميسير ناش ومن خلفه سيمنجتون . وقال الأول :

– آه .. مستر بورتون ؟ .. كنت سأتصل بك الآن .. يسرنى أن ألتقى بك .

ولم يسألنى ، ذلك الوقت على الأقل ، ما الذى أتى بى . وتحول إلىّ سيمنجتون وقال :

– سأستخدم هذه الغرفة ..

وكانت الغرفة عبارة عن صالون صغير تطل نافذتها الوحيدة على واجهة البيت . وقال المحامى :

– طبعا .

وكان متمالكا لأعصابه ، وأن كان بادى الأعياء . وعاد ناش فقال :

– لو كنت مكانك يا مستر سيمنجتون لتناولت غداء دسما . سوف تجد نفسك ، أنت ومس هولاند ومس ميجان أحسن بكثير بعد تناول فنجان من القهوة باللبن وبيض

بالبيكون ، فلا يجب أن يظل الانسان بمعدة فارغة أمام جريمة قتل .

وكان يتكلم فى رفق كما لو كان طبيب العائلة . وحاول سيمنجتون أن يبتسم . وأجاب بأنه سيعمل بمشورته فورا . ودخلنا الصالون الصغير أنا وناش ، وقال هذا الأخير بعد أن أغلق الباب خلفنا .

– انك وصلت سريعا .. كيف عرفت النبأ ؟

قلت له ان ميجان كلمتنى فى التليفون . وأصغى الى فى اهتمام وقال :

– قيل لى انك تكلمت فى التليفون أمس بخصوص هذه الخادمة الصغيرة يا مستر بورتون ، فكيف حدث هذا ؟

كان الأمر غريبا حقا . وقد حدثته عن المكالمة التى تمت بين أجنس وبين مارى وعن فنجان الشاى الذى لم تأت لتناوله فقال :

– اننا ازاء جريمة قتل ، والمسألة الآن هى معرفة ماذا كانت هذه الفتاة تعرف . هل قالت شيئا لمارى ؟ .. أعنى شيئا محددا ؟ ..

– لا أعتقد .. ولكن يمكنك أن تسألها .

– هذا ما أنوى عمله .. بعد أن أفرغ من هنا .

ـ هل تعرف إما حدث بالتحديد ؟

– تقريبا .. كان أمس يوم أجازة الخادمتين ..

– الخادمتين ؟

– نعم . كانت تقوم بالخدمة هنا خادمتان .. أجنس وروز .. وكانتا تخرجان معا فى نفس اليوم . كانتا تعدان عشاء باردا وتجهزان المائدة قبل خروجهما .وكانت مس هولاندهى التى تعد الشاى فى ذلك اليوم . وروز من مواليد قرية نيذر ميكفورد ، ولكى تذهب اليها فى ذلك اليوم كانت تستقل أوتوبيس الساعة الثانية والنصف . وقد خرجت أمس ، فى الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والعشرين لكى تستقل الاوتوبيس

المذكور . وخرجت الى هولاند والولدان فى الثالثة الا الربع ، وتبعتهما ميجان هنتر على دراجتها بعد ذلك بخمس دقائق . ومنذ تلك اللحظة بقيت أجنس وحدها بالبيت وقد فهمت أنها تغادر البيت عادة فيما بين الثالثة والثالثة والنصف .

- وترك البيت وحده ؟

- هذا أمر طبيعى فى البلدة ، ومن النادر أن يغلق أحد بابه بالمفتاح . كانت أجنس وحدها اذن فى الساعة الثالثة الا عشر دقائق ، ولكنها لم تغادره ، وهذا أمر أكيد لأنها لا تزال ترتدى مئزرتها عندما عثروا على جثتها .

- أظن انك تعرف متى قتلت بالتقريب .

- ان الدكتور جريفيث لا يريد أن يورط نفسه ، ولكنه يقول ان الوفاة وقعت فيما بين الثانية والرابعة والنصف .وهذاكل ما يستطيع قوله رسميا .

- وكيف قتلت ؟

- ضربها القاتل على رأسها من الخلف فى بادئ الأمر وأفقدها الرشد ثم غرز سيخا رفيعا وحادا فى أسفل جمجمتها فماتت على الفور .

أخذت نفسا طويلا وقلت :

- من الذى قتلها ؟ .. ولماذا ؟

أجاب القوميسير فى بطء :

- لن نعرف ذلك بالتحديد أبدا . ولكن فى مقدورنا أن نخمن ..

- هل كانت تعرف شيئا ؟

- من المؤكد انها كانت تعرف شيئا ؟

- ألم تقل شيئا لأحد ؟

- لاأظن . وروز الطاهية ، تزعم انها كانت تبدو شديدة الاضطراب منذ موت مسز سيمنجتون ، وكلما مر بها الوقت زاد اضطرابها وحيرتها ، وكانت تقول أنها لا تدرك

ماذا تفعل ، وأظن أن أجنس كان يؤرقها شئ . ويجب أن أعترف يا مستر بورتون بأننى أعرف شيئا لاتعرفه أنت .. ففى بعد ظهر اليوم الذى ماتت فيه مسز سيمنجتون كان المفروض أن الخادمتين غير موجودتين بالبيت ، فقد كان اليوم يوم أجازتهما .. والواقع أن أجنس قد عادت ثانية .

- هل أنت متأكد مما تقول ؟

- كل التأكيد ، فقد كانت تنوى قضاء اليوم مع صديقها الشاب فريد رندل الذى يشتغل فى محل الأسماك . والمحل يغلق يوم الأربعاء مبكرا عن العادة ، وكان رندل يسرع لملاقاة أجنس ليتنزها معا أو ليذهبا الى السينما اذا كان الجو رديئا . ولكنهما ما كادا يلتقيان فى ذلك اليوم حتى دب بينهما الشجار ، فقد تلقى رندل خطابا من تلك الخطابات المسمومة يتهم فيه كاتبه أجنس بأنها تحب كثيرين غيره ، وتشاجرا ، وعادت أجنس الى البيت وهى مصممة على ألا تخرج معه الا اذا جاء واعتذر لها .

- وبعد ؟

- ان المطبخ يقع فى الناحية الخلفية من البيت ، ولكن مسكن الخدم يطل على الواجهة . وللبيت مدخل عمومى اذا ما اجتزته ففى امكانك . اما أن تمضى الى الباب الأمامى أو الى الباب الخلفى المخصص للخدم .

وأمسك لحظة ثم استطرد يقول :

- وثمة شئ آخر ، وهو أن الخطاب الذى تلقته مسز سيمنجتون بعد ظهر ذلك اليوم لم يأت عن طريق البريد .. لقد ألصق كاتبه طابعا مستعملا على الظرف وقلد خاتم مكتب البريد ببراعة فائقة لكى يبدو أن هيئة البريد هى التى قامت بتوزيعه .

- أظن أن معنى هذا أن شخصا جاء ووضعه بنفسه فى صندوق بريد البيت قبل مرور الساعى ؟

- هو ذلك . ان موزع البريد يمر هنا فى الساعة الرابعة الا الربع . ونظريتى تقوم

على الآتى : كانت أجنس تنظر من النافذة تترقب مجئ صديقها ، وكانت ترجو أن يأتى للاعتذار لها ومصالحتها .

قلت مكملا :

ورأت الشخص الذى ألقى الخطاب فى الصندوق .

- الأمر كما تقول يا مستر بورتون . أظن أن هذا هو ما حدث ؟

- ولكن اذا صح ذلك فان أجنس المسكينة كانت تعرف من هو كاتب الخطابات .

- أظن ذلك .

- اذن لماذا ..؟

وتركت عبارتى معلقة فقال ناش :

- من رأيى انها لم تدرك معنى ما رأته على الفور . لقد وضع شخص ما خطابا فى صندوق بريد البيت ، ولم تكن تتصور أبدا ان هذا الشخص هو الذى يرسل الخطابات المجهولة . وكان هذا الشخص بالنسبة لها فوق كل الشبهات . ولكنها ، فيما بعد ، واذ فكرت فى الأمر مليا بدأت تساورها الشكوك وتتساءل ماذا يجب أن تفعل. ومن الذى يستطيع أن يقدم لها النصح.وفكرت فى مارى بارتريدج ، الخادمة .

قلت :

- هذا هو تفسير كل شئ اذن . وقد اكتشف كاتب الخطابات نيتها ... نعم ... ولكن كيف ذلك ؟

- أرى أنك لم تألف حياة الريف يا مستر بورتون . ان الأنباء تنتشر فيه بطريقة أشبه بالمعجزة . وفى الحالة التى تهمنا بالذات ، كانت هناك تلك المكالمة التليفونية ، فمن الذى كان موجودا معك أثناء هذه المكالمة ؟

أجبت بعد تفكير قصير :

- أنا الذى رفعت السماعة ، وناديت مارى ، وكانت فى الدور الأول .

هل قلت لها ان أجنس هى التى تطلبها ؟

نعم .

- ومن الذى سمعك ؟

- أختى ومس جريفيث .

- مس جريفيث ؟ ... وماذا كانت تفعل عندكما ؟

أخبرته فى ايجاز فقال :

- وهل عادت الى ليمستوك بعد ذلك على الفور ؟

- كلا ... مرت بمستر باى قبل ذلك . .

قال ناش :

- أه ... بمس جريفيث ومستر باى كان فى مقدور البلدة كلهاأن تعلم بهذه المكالمة بعد ساعة واحدة .

- هل تظن ان مس جريفيث ومستر باى جديران باذاعة خبر كهذا لا أهمية له ؟

أجاب ناش :

- فى بلدة ليمستوك كل الانباء سواء ، فاذا أصيبت والدة الخياطة ببرد بسيط فتأكد أن كل البلدة ستعرف ذلك . وربما سمعت مس هولاند وروز حديث أجنس . وهناك أخيرا فريد رندل ، ويحتمل أن يكون قد أخبر كل من هب ودب أن أجنس قد عادت الى البيت .

تطلعت من النافذة ... تصورت شخصا يلقى خطابا فى صندوق البريد بالبيت خلسة ... امرأة لاوجه لها ... ومع ذلك فقد كان يجب أن أعرفها . واستطرد ناش يقول :

- مهما يكن من أمر فان الرقعة تضيق . ان عدد المشبوهين يتناقص شيئا فشيئا وأصبحوا الآن قلة .

- هل تعتقد ذلك ؟

- يمكننا أن نستبعد من شبهاتنا جميع النساء اللاتى كن يعملن بعد ظهر أمس ، ومنهن المدرسة ، فهى لم تغادر المدرسة قبل الساعة الخامسة . والممرضة لأننى أعرف مواعيدها . اننى لم أشتبه فيها أبدا على كل حال . ولدينا الآن قواعد صلبة نستطيع أن نعمل استناداً عليها . اولا : ـ يوم موت مسز سيمنجتون من الساعة الثالثة والربع ، وهى ساعة عودة أجنس المحتملة على أثر شجارها مع صديقها . حتى الساعة الرابعة ، وهى الساعة التى يحتمل أن يكون موزع البريد قد مر فيها ، وسأناقش هذه النقطة معه . ثم لدينا أمس ، من الساعة الثالثة إلا عشر دقائق ، وهى الساعة التى خرجت فيها مس ميجان ، حتى الثالثة والربع ، لأن أجنس لم تكن قد وجدت ما يكفى من الوقت لكى تستبدل ثيابها .

- الديك فكرة عما يمكن أن يكون قد وقع أمس ؟

كشر ناش وقال :

- أظن ان سيدة جاءت وطرقت الباب بكل هدوء،كأية امرأة تأتى بقصد الزيارة . ومن الجائز أنها طلبت رؤية مس هولاند أو مس ميجان ، أو أن تكون قد جاءت وفى يدها ربطة . وربما التفتت أجنس لكى تأخذ الصينية التى توضع عليها بطاقات الزيارة أو لكى تضع الربطة فضربتها السيدة عندئذ ضربة قوية على رأسها .

- بأى شئ ؟

ان المودة الشائعة الآن هى الحقائب الكبيرة ، ولا يمكن أن يدرى أحد ماذا يمكن أن يوجد بداخلها .

- ثم طعنتها بعدذلك بالسيخ فى رأسها قبل أن تحشرها فى الدولاب ؟ ... أتظن أن هناك امرأة تقدم على مثل هذا العمل ؟

قال ناش :

ان المرأة التى نبحث عنها ليست طبيعية . انها مختلة العقل . والشخص المختل

العقل يتمتع عادة بقوة خارقة . ثم أن أجنس كانت ضعيفة البنية .

وعاد يقول بعد لحظة صمت :

- ما الذى جعل مس ميجان هنتر تبحث فى ذلك الدولاب ؟

- هى نفسها لاتدرى . لعله مجرد احساس ... ولكن ألم تخشى تلك المرأة أن تعرفها أجنس أو أن تشك فى أمرها ؟

- لم تكن أجنس تشك فى أحد بالذات . كان هناك شخص بدا لها غريبا فحسب . كانت فتاة ضيقة الأفق كما سمعت عنها . وكانت تشك فى أن هناك شيئا غير سليم فيما رأته ، ولكنها لم تعرف ما هو . وعلى كل حال لم تكن تعرف أنها أمام امرأة جديرة بأن تقتلها .

- ألم تثر هذه الجريمة دهشتك ؟

أجاب ناش :

- كان يجب أن أتوقعها ، فان انتحار مسز سيمنجتون أفزع كاتبة الخطابات وتملكها الخوف . وعندما يتدخل الخوف فيمكن أن نخشى كل شئ .

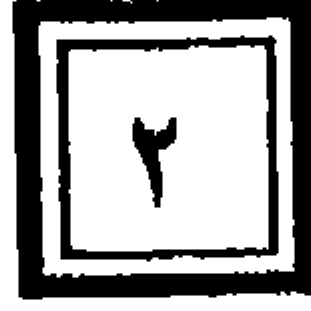
قلت :

- نعم . الخوف ... كان يجب أن نفكر فيه ...فان الخوف عند شخص مختل العقل...

هز القوميسير رأسه وقال :

- هذه قضية عجيبة . ان الشخص الذى نبحث عنه مختل العقل يا مستر بورتون ولكنه يتمتع فى نفس الوقت باحترام الجميع ... أعنى انه شخصية لها مكانتها واحترامها فى ليمستوك .

***



استجوب ناش روز للمرة الثانية ، ولكنه لم يخرج منها بجديد . وبحث بعد ذلك عن مس هولاند فوجدها فى غرفة المذاكرة تستذكر للولدين دروسهما . وعندما رأتنا أعطتهما مسألة حسابية قالت أنه يجب أن يكونا قد فرغا من حلها عند عودتها ، ثم انتقلت بنا الى الغرفة المجاورة ، وهى غرفة نومهما وقالت :

- يخيل لى أنه لا يجب أن نتكلم أمام الولدين

أجاب ناش :

- انك على حق يا مس هولاند . هل أستطيع أن أسألك مرة أخرى اذا كنت متأكدة تماما أن أجنس لم تشر أمامك الى ما كان يشغلها .

- انها لم تقل أى شئ . انها فتاة متحفظة وقليلة الكلام .

- هل لك أن تقولى لنا ما حدث بعد ظهر أمس ... كل ما تتذكرين ؟

- اننا تناولنا الغداء فى الساعة الواحدة كالعادة ، ومضى مستر سيمنجتون الى مكتبه ثم ساعدت أجنس فى أعداد المائدة للعشاء ، ولعب الولدان فى الحديقة فى انتظار أن ألحق بهما .

- وأين ذهبتم ؟

- الى كومب آكر ، عبر الطريق الذى يخترق الحقول . أراد الولدان أن يصطادا السمك ، ولكنهما كانا قد نسيا الطعم ، واضطررت أن أعود لكى آتيهما به .

- ومتى كان ذلك ؟

- اننا خرجنا فى نحو الساعة الثالثة الا الثلث ، أو ربما بعد ذلك بقليل . وكانت ميجان تنوى المجئ معنا ولكنها غيرت رأيها فى آخر لحظة وخرجت فى نزهة بدراجتها .

- ان ما أريد معرفته هو فى أية ساعة عدت للبحث عن الطعم ... هل دخلت

البيت ؟

- كلا . فان صندوق الطعم موجود فى الكشك خلف البيت ، ولا أدرى كم كانت الساعة بالضبط. ولكن لا ريب ان ذلك كان حوالى الثالثة الا عشر دقائق .

- هل رأيت مس ميجان أو أجنس ؟

- كانت مس ميجان قد خرجت من غير شك ولم أر أجنس ... لم أر أى أحد .

- ومتى عدتم ؟

- فى الساعة الخامسة الا عشر دقائق . وصعدت فوق مع الولدين وأعددت الشاى. وفى الساعة الخامسة عاد مستر سيمنجتون ، وتناولنا الشاى جميعا . وعندما يخطر لى أن تلك الفتاة المسكينة كانت فى الدولاب أثناء ذلك .

- الا تفتحون هذا الدولاب كثيرا ؟

- كلا . لأننا نضع فيه الأشياء المستهلكة .

- ألم تلحظى شيئا غريبا عند عودتكم ؟

- كلا يا سيدى . كان كل شئ يجرى كالعادة ، وهذا هو أفظع ما فى الأمر .

- والاسبوع الماضى .

- هل تعنى اليوم الذى ماتت فيه مسز سيمنجتون ؟

- نعم .

- كان ذلك اليوم فظيعا ... مخيفا .

- أعرف ذلك ... هل كنت فى الخارج بعد ظهر ذلك اليوم أيضا ؟

- نعم . اننى أخرج أنا والولدان بعد ظهر اليوم . وأتذكر اننا ذهبنا فى ذلك اليوم الى الحقول ، واننا ابتعدنا ابتعدنا كثيرا لأننى تأخرت عن موعد الشاى . وقد التقينا بمستر سيمنجتون وهو عائد من مكتبه ، وكانت الساعة الخامسة الا عشر دقائق ، وقد مضيت على الفور لاعداد الشاى .

ألم تصعدى الى غرفة مسز سيمنجتون ؟

كلا . اننى لا أصعد اليها أبدا لأنها تستجم دائما بعد الغذاء بسبب آلامها العصبية التى تواتيها دائما عقب تناول الطعام ، وكان الدكتور جريفيث قد وصف لها نوعا من الأقراص لكى تساعدها على النوم .

سألها ناش فى غير اكتراث :

- أما كان أحد يصعد اليها بالبريد ؟

- بريد بعد الظهر ؟ ... كلا . كنت ألقى نظرة على الصندوق عند عودتى فاذا وجدت به خطابات وضعتها فوق الطاولة بالردهة . ولكن مسز سيمنجتون كانت تهبط هى بنفسها فى أكثر الأحيان وتأخذ ما يوجد من الرسائل . ولم تكن تنام طوال فترة بعد الظهر ، وكانت تصحو فى الساعة الرابعة عادة .

- ألم تستغربى الأمر عندما لم تجديها قد استيقظت عند عودتك فى ذلك اليوم ؟. ألم يخطر لك أنه قد وقع شئ غير عادى ؟

- وكيف كان يمكن أن يخطر لى شئ كهذا . لقد نضا مستر سيمنجتون معطفه عنه وهو فى الردهة . وقلت له عندئذ ان الشاى لم يعد بعد فهز رأسه ونادى زوجته باسمها مرتين قائلا " مونا " ولما لم ترد عليه صعد الى غرفتها . ولا ريب انه أصيب بتأثر شديد لأنه نادانى وطلب منى أن أبتعد بالولدين ثم تكلم فى التليفون مع الدكتور جريفيث ... كانت لحظات فظيعة ... امرأة رقيقة مثلها ، كانت لا تزال حية ترزق ونحن نتناول الغذاء .

ما رأيك فى ذلك الخطاب الذى تلقته مسز سيمنجتون ؟

أجابت فى سخط صادق :

انه فرية بشعة .

هل تلقيت أحد هذه الخطابات المجهولة يا مس هولاند ؟

كلا .

- هل أنت واثقة ؟ ... لا تتسرعى بالاجابة ... ان هذه الخطابات بغيضة بحيث لايرضى أى أحد أن يعترف بأنه تلقى شيئا منها . ولكننا نعرف مضمونها ، واذا كنت قد تلقيت بعضا منها فيمكنك أن تقولى لنا ذلك دون أى انزعاج .

- ولكننى لم اتلق شيئا منها أيها القوميسير ... صدقنى .

وأوشكت أن تبكى وهى تقول ذلك ، ولم يسع ناش إلا أن يصرفها . ثم مضى الى النافذة وهو يقول :

- انها تزعم انها لم تتلق أى خطاب ، ويبدو أنها صادقة .

- ليست وحدها فى ذلك ... لا تنسى اميلى بارتون . ضحك ناش وقال :

- لا يجب أن تصدق كل ما يقال يا مستر بورتون ... ان مس بارتون لم تتلق خطابا واحدا فحسب ، وانما تلقت أكثر .

- وكيف عرفت ذلك ؟

- من خادمتها .

- ولماذا زعمت مس اميلى انها لم تتلق شيئا من هذه الخطابات .

- رقة منها وخجلا ، فان هذه الخطابات محشوة ببذاءات لم تعرفها فى حياتها ، خصوصا وانها عاشت طوال حياتها تقريبا فى معزل عن الناس .

صحت :

- هل ستظل تلك المرأة الخطرة بعيدا عن متناول العدالة ؟

قال ناش فى هدوء :

- ثق اننا سنهتدى اليها ، فانها ستكتب خطابا سيكون أكثر من اللازم وسيكون فيه هلاكها .

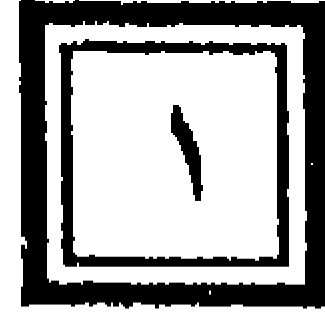
- أتظن ان الأمر لم ينته بعد ؟

حدجنى بعينيه وأجابنى فى بطء :

- اننى مقتنع بهذا . لا يمكنها أن تتوقف . انها مريضة والمرض أقوى . ستكون هناك خطابات أخرى ، وثق من ذلك .

* * *

الفصل التاسع



بحثت عن ميجان قبل أن أغادر البيت ، ووجدتها فى الحديقة ، وكان يبدو أنها استردت جأشها ، وقد استقبلتنى مسرورة . وعرضت عليها أن تعود للاقامة معنا بضعة أيام فترددت ، ثم رفضت قائلة :

- هذه مكرمة منك ، ولكننى أفضل البقاء هنا . ومهما يكن فاننى هنا فى بيتى، ثم اننى أستطيع تقديم المساعدة من أجل الصغيرين .

- كما تشائين يا ميجان .

- واذا حدث ووقع شئ فإننى أستطيع أن أتصل بك على كل حال فتأتى ... أليس كذلك ؟

- بدون شك ... ولكن ماذا تريدين أن يقع ؟

- وما أدرانا ؟ ... ان أشد الأمور غرابة تقع فى هذه الأيام .

وتركتها على مضض . ولكنها كانت فى بيتها كما قالت . ثم اننى كنت أرجو أن تكون ألسى هولاند قد أدركت الآن أن عليها ان تهتم بها هى الأخرى .

ومضينا ، أنا وناش ، الى ليتل فورز . وهناك استجوب القوميسير مارى ، ولكنه لم يظفر منها هى الأخرى بجديد . وبعد أن انصرف أخذت أستعرض أنا وأختى شتى الاحتمالات عن كاتب الخطابات المجهولة ، وهل هو رجل أم امرأة كما يعتقد المفتش جريفس . وتساءلت اذا لم تكن مارى هى التى كتبت تلك الخطابات ، واذا لم تكن

أجنس قد رأتها فى ذلك اليوم وهى تلقى بالخطاب فى صندوق البريد ببيت سيمنجتون، ولكن جوانا سخفت رأيى هذا قائلة انها لا يمكن أن تتصور مارى تكتب الخطابات المذكورة ، وتحرص على ازالة بصماتها قبل أن ترسلها الى أصحابها لأنها ليست ذكية الى هذا الحد ثم انها لم تخرج من البيت لحظة واحدة ، لا فى اليوم الذى ماتت فيه مسز سيمنجتون ولا أمس ، وهو اليوم الذى قتلت فيه أجنس . وانتهت فى حديثها الى أن نصحتنى بأن أذهب الى المدينة لكى أعرف ما يقال ، وأردفت تقول :

- لا تنسى ان الدكتور ماركوس كان نصحك بأن تهتم بالسياسة المحلية وبفضائح البلدة .

وكانت جوانا على حق فقد كان شارع هاى ستريت غاصا بالاهالى ، وقد اجتمعوا فى جماعات متفرقة وراحوا يتناولون الاراء حول مقتل أجنس وادل المسكينة . ورأيت اننى سأخرج بحصيلة كبيرة .

وكان جريفيث أول من التقيت به ، وكان يبدو شاحبا ومرهقا بحيث أننى سألته عما به . وأجابنى يقول :

- اننى لقيت الكثير من المرضى فى الأيام الأخيرة .

- بما فى ذلك مجنوننا الذى يعيث فى البلدة فسادا دون أن يردعه رادع .

- هو ما تقول ؟

ولاحظت أنه ينظر بعيدا ، فى الناحية الأخرى من الشارع وقطب جبينه . سألته :

- الا تشتبه فى أحد ؟

- كلا لسوء الحظ .

وسألنى عن جوانا فجأة ، وقال فى شئ من التردد ان معه صورا يريد ان يريها اياها ، فعرضت عليه ان أقوم عنه بهذه المهمة ولكنه أجابنى بأنه سيزور بعض المرضى

بجوارنا بعد ظهر اليوم وأنه سينتهز هذه الفرصة ويعطيها لها .

وخشيت أن يكون قد وقع فى الفخ ، ولعنت جوانا فقد كان شابا رقيقا وما كان يجب أن تعبث به .

وغادرته عندئذ لأننى رأيت أخته عن بعد ، ولأول مرة احسست بحاجة الى أن اتحدث اليها .

ويدأتنى اميه بهذا السؤال :

- يبدو انك كنت هناك مبكرا اليوم .

اجبت متجنبا الحديث عن مكالمة ميجان :

- هذا صحيح . كان يجب أن تأتى أجنس لزيارة مارى وتناول الشاى معها ولكنها لم تأت . وشعرت بالقلق ...

- وخشيت اسوأ الأمور ؟ ... أنك تتمتع بحاسة عجيبة ... هذه أول جريمة قتل تقع فى ليمستوك . ان البلدة مقلوبة رأسا على عقب ، وأرجو أن يتمكن البوليس من القبض على القاتل .

- لا تقلقى ، فانهم رجال قديرون حقا .

- قال لى اوين ان القاتل ضربها على رأسها أولا ثم طعنها بخنجر بعد ذلك . لاريب أنها جريمة غرامية .

- أهذا رأيك ؟

- بل هذه هى النظرية الوحيدة المعقولة . ان للرجال هنا طباعا عنيفة جدا . يبدو أن ميجان هى التى عثرت على الجثة . لاريب أنها أصيبت بذعر شديد، وهذا من سوء حظها حقا ، فانها لا تتمتع بكامل قواها العقلية ، ومثل هذه الجريمة كان يمكن ان تفقدها العقل تماما .

وأردت أن أقطع الشك باليقين فسألتها فجأة :

مس جريفيث ... هل انت التى نصحت ميجان بأن تعود الى البيت ؟

لا أستطيع القول بأننى نصحتها ...

- ولكنك قلت لها شيئا ...

اعتدلت فى وقفتها ، ونظرت الى صراحة وقالت فى هدوء :

- لا يجب على الفتاة أن تهرب من مسئولياتها ، ومن ناحية أخرى فأن الناس لا يسكتون ، وقد ظننت ان من واجبى ان اجعلها تفهم .

- الناس ؟

وكان غضبى من الشدة والحدة بحيث لم أستطع أن أقول المزيد .

وأستطردت ايميه بتلك الثقة الغريبة التى تتسم بها شخصيتها :

- انك لست على علم طبعا بما يقال . ولكننى أعرف ذلك ، واننى واثقة تماما أن ما يقولون لا يستند على اساس ، ولكنك لا تعرف الناس ، فانهم اذا أستطاعوا أن يذكروا احدا بسوء فانهم لا يدعون الفرصة تفلت منهم . ومثل هذه الشائعات تضر كثيرا بفتاة يجب ان تكسب قوت يومها .

- من التى يجب أن تكسب قوت يومها ؟

ونظرت اليها وأنا لا أفهم شيئا فاستطردت تقول :

- انها فى موقف شديد الحرج والدقة ، وأظن انها فعلت ما كان يجب أن تفعل . فلم يكن فى استطاعتها أن تتركه ما بين يوم وليلة ، وأن تتخلى عن الولدين . انها كانت رائعة ... رائعة جدا . وهذا ما أقول للجميع . ولكن الموقف بغيض مع ذلك ، ولن تسكت ألسنة السوء .

سألتها :

ولكن عمن تتحدثين ؟

أجابت فى شئ من القلق ·

- عن ألسى هولاند طبعا . انها فتاة ممتازة ورزينة ، ومن رأيى أنها لم تقم الا بواجبها .

- وماذا يقولون عنها ؟

أطلقت اميه جريفيث ضحكة لم ترق لى أبدا وقالت :

- يقولون أنها تواجه احتمال ان تغدو الزوجة الثانية لمستر سيمنجتون ، وانها على استعداد تام لمواساة الأرمل المسكين الذى يرى منذ الآن انه لا غنى له عنها .

صحت :

- رحماك يا الهى ! ... ولم يمض على موت مسز سيمنجتون غير ثمانية أيام .

هزت مس جريفيث كتفيها وقالت :

- هذا غير معقول ، ولكنك لا تستطيع تغيير طباع الناس . ان ألسى هولاند شابة وجميلة ، ولها العذر اذا هى حاولت أن تظفر بزوج وبيت . وسيمنجتون المسكين لا يشك فى شئ طبعا ... انه لم ينس بعد زوجته العزيزة " مونا " ، ولكن الرجال رجال ، واذا بقيت هذه الفتاة بالبيت واهتمت به وأحبت الولدين ، أو تظاهرت بذلك فسوف يصبح عبدا لها .

قلت فى هدوء :

- معنى هذا أنك تعتبرين ألسى هولاند دساسة ؟

أحمر وجهها وقالت :

- لم أقل هذا أبدا . اننى حزينة من أجلها بسبب ما يقال عنها ، وهذا هو السبب تقريبا فى اننى أوعزت الى ميجان بأنها تحسن صنعا بأن تعود الى البيت ، فهذا لا يبقى ديك سيمنجتون وألسى هولاند فى البيت وحدهما ...إن هذا أفضل بكثير .

وضحكت اميه جريفيث ، وحيتنى بايماءة صغيرة من رأسها ثم ابتعدت .

***



وألتقيت بمستر باى بحوار الكنيسة ، وكان يتحدث مع اميلى بارتون .

ورحب بى قائلا :

صباح الخير يابورتون ... كيف حال أختك الظريفة ؟

- على أحسن مايرام . شكرا .

- ولكنها لم تأت لكى تشترك معنا فى برلمان البلدة الصغير .. ولاريب أنها ترى أن هذه الجريمة لاتستحق الأهتمام وأنها جريمة عادية .. ولكنها جريمة بغيضة .. القتيل فيها ليست أكثر من خادمة صغيرة غبية .. أنها جريمة وحشية .

وقالت مس بارتون فى انفعال :

أنها جريمة فظيعة .. بشعة !

قلت فجأة :

- كان يجب أن تأتى لكى تتناول الشاى مع مارى بعد ظهر أمس .

ثم تحولت إلى مستر باى وأردفت فى صوت هادىء :

- لاريب أن مس جريفيث قالت لك ذلك .

أجاب دون أى ارتياب :

- نعم . وزادت فقالت أن المودة الجديدة الآن هى أن نرى الخدم يستخدمون التليفون ببساطة ودون أى حرج .

- لم تكن مارى تفعل شيئا كهذا أبدا ، ويدهشنى منها ذلك .

قال مستر باى :

- أنك متأخرة ياعزيزتى . أن الخادمين اللذين يقومان بالخدمة عندى يستخدمان التليفون طوال النهار . وكان لابد لى من أن أغضب لكى يمتنعا عن التدخين فى كل الغرف . وقد رضيت بالأمر الواقع فإن برسكوت طاه ممتاز وزوجته لامثيل لها فى

أعمال البيت .

- نعم . أنك محظوظ حقا معهما .

وقلت أعيد مجرى الحديث إلى الموضوع الذى يهمنى :

- أن نبأ الجريمة انتشر سريعا .

قال مستر باى :

- هذا أمر طبيعى . فالناس يثرثرون عند الخباز والجزار والبدال ، والأنباء تنتشر بسرعة فى ليمستوك ... خطابات مجهولة .. وجريمة قتل .

قالت اميلى بارتون :

- لاأخالك تظن أن هناك علاقة بين تلك الخطابات البغيضة ومقتل هذه الفتاة المسكينة ؟

- هذه نظرية لها قيمتها . أن الفتاة المسكينة كانت تعرف شيئا ، وقد قُتلت لهذا السبب . أنك أبديت فكرة غنية حقا .

- أننى ارتعد لمجرد التفكير فيها .

وإذ نطقت مس بارتون بهذه العبارة استأذنت فى الإنصراف ، وابتعدت وهى تمشى فى خطوات صغيرة سريعة . وتابعها مستر باى بنظرة ثم تحول إلىّ وقال :

- أنها امرأة شديدة الحساسية .. وظريفة جدا ... أثر من آثار الماضى . والحق أنها لاتمت إلى جيلها وإنما إلى الجيل الذى سبقها . أن أمها كانت قوية وقد عرفت كيف تسوس بناتها وتبقيهن فى العصر الذى عاشت فيه .

- ولكن مارأيك فى الجريمة ، وفى الخطابات ؟

ابتسم مستر باى فى رفق وقال :

- أن الشواذ يثيرون اهتمامى ، وقد درستهم كثيرا ، ويحدث أحيانا أن يَقدِم الناس على أعمال غاية فى الغرابة . ومن رأيى أن البوليس يجب أن يقوم بدراسة

نفسية فى هذه القضية . وألا يضيع وقته فى البحث عن بصمات ومأشبه . وأن يحاول بدلا من ذلك ، دراسة طبائع الناس .. ماذا يفعلون بأيديهم وأن يعرف عاداتهم وميولهم ، وأن يرى إذا كان هناك من يضحك بلا سبب ...

- إذن فأنت تظن أننا إزاء مجنون .

- هو مجنون بدون شك ، ولكن ليس هناك من يشتبه فى أمره .

- ومن هو ؟

وتلاقت نظراتنا ، وقال وهو يبتسم :

- كلا يابورتون . سيكون هذا اغتيابا ، ولاأريد أن أزيد الاغتياب إلى الشائعات التى تدور .



عدت إلى البيت قبل موعد الغذاء بدقائق . وكانت جوانا جالسة فى الصالون الصغير لاتفعل شيئا ، وتبدو مستغرقة فى أفكارها . وقلت أسألها :

- حسنا . ماذا فعلت صباح اليوم .

لاشىء بالذات .

ورأيت فى الشرفة مقعدين بجوار المنضدة الحديدية ، وفوق المنضدة كأسين فارغين ، وعلى مقعد ثالث شيئا تأملته فى دهشة حقيقية وأنا أقول :

- ماهذا ؟

قالت جوانا :

- هذه صورة فأرة مريضة ، حسب الدكتور جريفيث أنها قد تثير اهتمامى .

فحصت الصورة فى فضول . ولكل رجل طريقته الخاصة فى مغازلة السيدات ،

ولكن ماكان ليخطر ببالى أبدا أن أغازل امرأة بأن أريها صورة من هذا النوع . ولكن لاريب أن جوانا هى التى أرادت أن ترى تلك الصورة بالذات . وقلت :

- هذه الصورة ليست جميلة أبدا .

وافقتنى أختى على ذلك . وعندما سألتها عن أنباء جريفيث قالت لى أنه بدا لها مرهقا ، وأردفت تقول :

- أظن أن هناك شيئا يزعجه .

- لاريب أنها فأرة لاتستجيب للعلاج .

- لاتكن غبيا . أننى لاأمزح .

- حسنا .أنت التى تزعجينه إذن ، إذا أردت رأيى . يجب أن تتركيه وشأنه .

- ولكننى لم أفعل به شيئا .

- أن النساء لايعترفن بأخطائهن أبدا .

أولتنى ظهرها وابتعدت غاضبة .

وبدت صورة الفأرة تلتف حول نفسها تحت أشعة الشمس ، فأمسكتها فى رفق من أحد أطرافها ومضيت بها إلى الصالون . لم تكن الصورة عزيزة على ، ولكننى كنت أعلم أن جريفيث يعتبرها كنزا ، وتناولت من أول رف فى المكتبة كتابا لكى أضع الصورة بين صفحاته حتى لاتلتف حول نفسها . وكان كتابا ضخما ، يضم مجموعة من المواعظ ، وانفتح تلقائيا بين يدى .

وأدركت السبب على الفور ... ذلك أن عددا كبيرا من صفحاته قد انتزع منه .



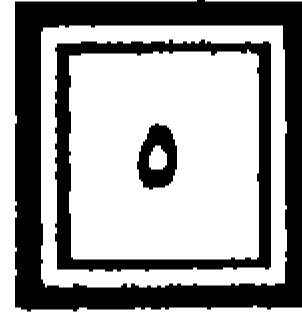
فحصت الكتاب وأنا مشدوه ، ونظرت إلى عنوانه . كان مطبوعا فى سنة ١٨٤

ولم يكن هناك أى شك فى أنه هو الكتاب الذى استخدم فى " تركيب " الخطابات المجهولة .

فمن الذى انتزع هذه الصفحات ؟

فكرت فى بادىء الأمر فى اميلى بارتون ومارى ، فقد كان من الطبيعى أن يتجه فكرى إليهما فى المجال الأول . ولكننى لم ألبث أن واجهت احتمالات أخرى . فمن الجائز أن تكون مس بارتون قد تركت زائرا فى الغرفة ووجد من الوقت مايكفيه لانتزاع الأوراق الناقصة .

فمن يكون ذلك الزائر ؟ .. مستر باى أو اميه جريفيث أو مسز دين كالتروب ؟



وأطلعت جوانا بعد العشاء على اكتشافى ، وتشاورنا طويلا فى هذا الموضوع ، ثم مضيت بالكتاب إلى قسم البوليس . ولم يكن جريفس موجودا فاستدعاه القوميسير ناش ، وتم الأتفاق على رفع ماقد يكون على الكتاب من بصمات ، وهى عملية لم يتوقع القوميسير أن تسفر عن شىء ، وكان على حق فلم يجدوا على الكتاب إلا بصماتى أنا وبصمات مارى مما يدل على أنها كانت تقوم بعملها خير قيام .

وسألت ناش عن سير التحقيق فقال :

- أن الحلقة تضيق ، وقد استبعدنا كل الأشخاص الذين لايمكن أن ترقى إليهم الشبهات .

- ومن الذى يبقى ؟

- مس جينش أول كل شىء . مضت بعد ظهر أمس إلى عميل يقع بيته بعد بيت مستر سيمنجتون بقليل . وفى الأسبوع الماضى كان اليوم الذى ماتت فيه مسز

سيمنجتون هو آخر يوم لها فى مكتب المحامى . وقد اعتقد مستر سيمنجتون أنها لم تغادر المكتب طوال فترة بعد الظهر . كان مجتمعا بسير هنرى لاشنجتون وجاءته مس جينش ببعض المستندات أكثر من مرة . ولكننى تحققت أنها خرجت فى الواقع فيما بين الساعة الثالثة والرابعة لكى تشترى طوابع بريدية من مكتب البريد . وهذا عمل كان يمكن للساعى أن يقوم به ، ولكن مس جينش أصرت على أن تذهب هى بنفسها لشراء الطوابع محتجة بأنها تشكو من صداع وأن الهواء النقى سيصيبها بخير كبير . بيد أنها لم تغب طويلا على كل حال ...

- ولكنها غابت بما يكفى لكى ...

- لكى تعدو إلى آخر البلدة وتلقى بالخطاب فى الصندوق ثم تعود مسرعة . ومهما يكن فيجب أن أقول أن مامن أحد رآها بجوار بيت سيمنجتون .

- ومن غيرها ؟

نظر ناش أمامه وقال :

- يجب أن تفهم أننا لا نستطيع أن نستبعد أحدا .. لا نستطيع استبعاد أى أحد وقد مضت اميه جريفيث أمس إلى لقاء للمرشدات فى برنتون ، وعادت متأخرة .

- لاأخالك تظن ..

- كلا طبعا . ولكننى لاأدرى ...

- وهل كان فى مقدورها أن تلقى بالخطاب فى الصندوق فى الأسبوع الماضى ؟

- نعم ، لأنها تنقلت بين متاجر البلدة طوال فترة بعد الظهر ، وفعلت مس بارتون نفس الشيء وتنقلت هى الأخرى بين المحلات أمس . وفى يوم الأربعاء الماضى مضت لزيارة بعض أصدقائها الذين يقيمون على مقربة من بيت سيمنجتون .

وصمت لحظة ثم عاد يقول :

- ثم هناك مستر باى .

- هل فكرت فيه هو الآخر ؟

أجاب وعلى شفتيه ابتسامة :

- طبعا . أنه رجل غريب الأطوار ، ويجب أن أقول أنه لايتمتع بحب الأهالى . ولايستطيع أن ينفى عن نفسه الأتهام ، فقد كان أمس فى الحديقة وحده ... ويوم الأربعاء الماضى كذلك .

- إذن فأنت لاتقتصر فى شبهتك على النساء فقط ؟

- أنا لاأعتقد أن كاتب الخطابات رجل ، والمفتش جريفس مثلى ، ولكن مع استثناء واحد وهو أن مستر باى له طبع أنثوى ، ولكن هذا الأعتقاد لم يمنعنا من التحقق من انتفاء الشبهة عن الجميع ، سواء كانوا رجالا أو نساء . وأنا متأكد من ناحيتك ، ومن ناحية أختك أيضا . أما مستر سيمنجتون فلم يتحرك من مكتبه . وكان جريفيث يعالج مرضاه . وقد تحققت من كل ذلك .

ودخل أوين جريفيث المكتب فى هذه اللحظة وقال :

- صباح الخير ياناش . قيل لى أنك بحثت عنى صباح اليوم ، فهل الأمر خطير ؟

- كلا . وإنما سنعقد جلسة التحقيق يوم الجمعة ، فهل يوافقك هذا ؟

- حسنا . سأقوم أنا ومورسبى بالتشريح الليلة إذن .

- وثمة شىء آخر .. هل كانت مسز سيمنجتون تتناول أقراصا .. تحتوى على مسحوق وصفته أنت لها ؟

- نعم .

- وهل يتسبب فى موت أحد إذا تناوله بكمية كبيرة ؟

أجاب جريفيث :

- كلا طبعا ، إلا إذا أخذ خمسة وعشرين قرصا على الأقل .

- ولكن ألم تكن مسز جريفيث تفرط فى تناول هذا الدواء ؟ .. لقد قالت لى مس

هولاند أنك لفت نظرها إلى ذلك مرة .

- هذا صحيح . فقد خطر لمسز سيمنجتون أنها ستشفى سريعا إذا هى تناولته بكمية أكثر . وقد حذرتها من ذلك . أما عن سبب الموت فإنها ماتت أثر تناولها كمية من السيانور .

- أعرف ذلك . شكرا لك .

واستأذنت فى الإنصراف بعد أن غادر جريفيث المكتب بقليل ، وعدت إلى البيت على مهل . وكانت جوانا قد خرجت ، ووجدت بجوار التليفون ورقة كتبت عليها هذه الكلمات : " إذا تكلم الدكتور جريفيث فى التليفون فقل له أننى لاأستطيع يوم الثلاثاء . ولكن يمكننى أن أدبر الأمر يوم الأربعاء أو الخميس " .

ورفعت عينى إلى السماء ومضيت إلى الصالون حيث جلست فى مقعد وثير . ورحت أفكر .

أن القوميسير ناش يشتبه فى أشخاص عديدين ولايستطيع أن يحصر شبهته فى شخص معين . ولكن من عساه يكون كاتب الخطابات المجهولة .

أهى مارى أم مسز كليت ؟ ... ألا يمكن أن تكون اميلى بارتون ، تلك المرأة الرقيقة هى التى تكتبها وتحشوها بتلك القذارات وتنفس بذلك عما يجيش فى صدرها منذ وقت طويل ؟

أيمكن أن تكون هى ايميه جريفيث ، تلك المرأة التى تتدفق حياة وتتوقد ذكاء التى تكلمت عنها مسز دين كالتروب فنعتتها بالفتاة المسكينة ؟

ثم هناك مستر باى ، وهو رجل ضئيل ، ومن العسير أن يثق به الإنسان ... وتصورته يكتب هذه الخطابات ويدبر كل شىء ... لاريب أن الأمر كان يروق له جدا .

وفكرت من جديد فى تلك الرسالة التى تركتها جوانا بجوار التليفون ، ولاأدرى لماذا شعرت بالضيق . هل كان ذلك لأنه كان من الواضح أن جريفيث وقع فى حب

جوانا ؟ .. كلا .. لماذا إذن ؟

ولم أعد أدرى بما يدور حولى تماما ، وغلبنى النعاس ، ورحت أردد فى غباء "ليس هناك دخان من غير نار ... ليس هناك دخان من غير نار " .

وبعد ذلك رأيت نفسى فى الشارع مع ميجان . ومرت ألسى هوارد بنا ، وكانت ترتدى ثياب الزفاف ، وراح الناس يتهامسون من حولها ويقولون " أنها ستتزوج حبيبها جريفيث رغم كل شىء .. فقد خطبها سرا منذ سنوات " .

ودخلنا الكنيسة . وكان دين كالتروب يقوم بطقوس الزواج . وفى منتصف الحفل وقفت مسز دين كالتروب فوق مقعدها وصاحت تقول :

- يجب أن يتوقف هذا ... أقول لكم أنه يجب أن يتوقف .

ومرت بى دقيقة وأنا أتساءل هل أنا فى منام أو فى يقظة . ثم لم ألبث أن أدركت اننى جالس فى بيتى وأن مسز دين كالتروب واقفة أمامى . وكانت قد دخلت من النافذة الكبيرة ، وكانت تقول فى حدة :

- يجب أن يتوقف هذا .

أجفلت وقلت :

- معذرة .. أظن أننى غفوت ... ماذا تقولين ؟ ضربت راحتها اليسرى بيدها اليمنى وقالت :

- يجب أن يتوقف هذا .. أعنى الخطابات والجرائم والباقى ...

- أنك على حق فى هذا ، ولكن كيف نفعل ؟

- يجب أن ننظف البلد . قلت لك أن الأهالى هنا ليسوا أشرارا ، ولكننى كنت مخطئة . أنهم لايساوون أكثر من غيرهم .

بدأت أشعر بالضجر ، ولكننى قلت فى لهجة مهذبة :

نعم ياسيدتى الهمامة . ولكن ماذا تريدين أن تفعلى ؟ .. أتحسبين نفسك أقدر

من رجال البوليس ؟

- كلا . ولهذا السبب سألجأ إلى شخص خبير فى مثل هذه الأمور .

هززت رأسى وقلت :

- أنك تضيعين وقتك . أن اسكوتلاند يارد لن تتولى الأمر إلا إذا طلب منها مدير بوليس المقاطعة ذلك رسميا . ومهما يكن فقد أرسلت إلينا المفتش جريفس .

وأجابت مسز دين كالتروب :

- أننى لاأفكر فى أحد رجال البوليس . أننا لسنا بحاجة إلى شخص يقوم بالتحرى والتحقيق ، وإنما إلى شخص يعرف دخائل النفس البشرية ، ويكشف كوامن الشر فيها .

كانت هذه نظرية لم تترك لى مسز دين كالتروب الوقت الكافى لاستيعابها ، فقد انحنت فوقى وقالت كما لو كانت تسر إلىّ بسر لاتريد أن يعرفه أحد :

- وهذا ماسأهتم به الآن .

ودون أن تنتظر منى جوابا خرجت من النافذة التى جاءت منها .

* * *

الفصل العاشر

١

كان الأسبوع الذى تلا ذلك أغرب فترة فى حياتى ، فقد خيل لى أننى أعيش حلما عجيبا ، وبدت لى كل الأمور بعيدة عن الواقع .

فقد حضر أهالى ليمستوك جلسة التحقيق التى دارت حول مقتل أجنس وادل ، وصدر الحكم كما توقعناه تماما ، وهو أن الجريمة ارتكبها مجهول أو مجهولون ، وساد الفزع فى البلدة ، راح الجميع يتبادلون النظر فى شك وارتياب إذ أسفر التحقيق عن أن القاتل ليس غريبا وأنه لابد واحد منهم .

ومرت الأيام دون أن يجد جديد ، ولم تظهر خطابات أخرى ، وأخذ ناش يتنقل فى المدينة من وقت لآخر ، ولكن لم تكن لدى أية فكرة عن سير التحقيق ، ولا عن الفخاخ التى ينصبها رجال البوليس ، وغادر جريفس البلدة .

وجاءت أميلى بارتون وتناولت الشاى معنا ، كما جاءت ميجان وتناولت الغذاء . وجعل أوين جريفيث يعود مرضاه ، واستضافنا مستر باى فى بيته مرة أخرى ثم مضينا أخيرا لتناول الشاى فى بيت مسز دين كالتروب .

وقضينا فى بيتها أصيل يوم جميل ، وقدمت إلينا صديقة لها جاءت للإقامة معها بعض الوقت ، وهى عانس مسنة ظريفة تقضى وقتها فى شغل الأبرة ، وتدعى مس ماربل . وقد أبدت اهتماما كبيرا بالقضية قائلة :

لاشىء يقع فى الريف تقريبا .

وقالت تسأل بعد بضع لحظات :

- ومن الذى يبعث بهذه الخطابات ؟

أجابت جوانا : المعتقد أنها مسز كليث .

تدخلت مسز دين كالتروب فقالت :

- لم يعد هذا الإعتقاد سائدا الآن .

وسألت مس ماربل من تكون مسز كليث هذه فتطوعت جوانا قائلة :

- أنها ساحرة القرية .

قالت مس ماربل :

- لايمكن أن تكون هى إذن ، لأن تلك الفتاة المسكينة قتلت بسيخ ، ولو أن مسز كليث أرادت أن تضرها لألقت عليها سحرا فتموت ميتة عادية .

والتفتت إلىّ وقالت : أنت رجل غريب عن هذه المنطقة يامستر بورتون ، وتعرف الدنيا كما تعرف الحياة ويبدو لى أنه كان فى مقدورك أن تهتدى إلى مفتاح هذه القضية البشعة .

أجبت وأنا ابتسم : أننى اهتديت إليه ، ولكن كان ذلك فى المنام .. زال الغموض عن كل شىء ، ولكن ما أن صحوت حتى رأيت لسوء الحظ أن الأمر غير ذلك .

- هذا عجيب .. قل لى ماذا رأيت ؟

- أظن أن حلمى بدأ بعبارة يرددها الجميع فى البلدة وهى " ليس هناك دخان من غير نار " ثم ربطت بين هذه العبارة وبين بعض الأصطلاحات الحربية وستار من الدخان ورسالة تليفونية ... آه ، كلا أننى أخلط بين هذا الحلم وحلم آخر .

- وما هو هذا الحلم الآخر ؟

- أوه .. أنه كان حلما سخيفا . رأيت فيه ألسى هولاند ، مربية الأولاد ببيت سيمنجتون ، بملابس العرس ، تتزوج الدكتور جريفيث . والأب دين كالتروب يقوم بطقوس القداس ، ومسز دين كالتروب تصيح قائلة : " يجب أن يتوقف كل هذا " .

وتحولت إلى مسز كالتروب وأردفت أقول مبتسما :

- ولكننى فى تلك اللحظة بالذات لم أكن أحلم ، فقد كنت أنت واقفة أمامى ، وسمعتك تقولين ذلك .

قالت مسز كالتروب فى هدوء : كان لدى من الأسباب مايحملنى على ذلك .

وقالت مس ماربل : ولكننى لاأرى فى هذا الحلم أية رسالة تليفونية .

- الواقع أنها لم تكن فيه ، وإنما وجدتها قبل أن أغفو . كانت عبارة عن كلمة لى من أختى لكى أنقلها إذا تكلم أحد فى التليفون .

انحنت مس ماربل نحوى وقالت :

- هل تنعتنى بالفضول إذا أنا سألتك عن مضمون هذه الرسالة ؟

ثم تحولت إلى أختى وقالت :

- وأرجوك المعذرة ياصديقتى العزيزة .

ابتسمت جوانا تطمئنها فى حين أعدت أنا على سمع مس ماربل الكلمة التى تركتها لى أختى بالتقريب وأنا أخشى أن أخيب ظنها ، ولكن ماكانت أشد دهشتى حين بدا عليها الأرتياح التام وقالت :

- كنت أشك فى شىء من هذا القبيل . أنك تتمتع بذكاء كبير يامستر بورتون ، ولكن ينقصك الثقة فى النفس ، وأنت مخطىء فى هذا .

احتجت جوانا ساخطة :

- لاتقولى له مثل هذا القول بحق الله فكفاه غرورا بنفسه .

وعادت مس ماربل إلى شغل الأبرة وهى تقول :

- لكى يرتكب المرء جريمة ناجحة أن يكون كالحاوى تقريبا . فلا يكفيه التحرك بسرعة ، وإنما يجب على الخصوص ألا ينظر الناس إلى حيث ينبغى النظر .

قلت : يخيل لى أننا بحثنا عن هذا المجنون الطليق فى غير المكان الذى يجب أن

نبحث فيه .

قالت مس ماربل :

- عنى أنا فلن أبحث عن مجنون ، وإنما عن شخص عاقل يتمتع بكل قواه العقلية...

قلت : هذا رأى ناسن . ومن رأيه أيضا أن يتمتع بأحترام الناس وتقديرهم .. وأنه ستكون هناك خطابات أخرى .

قالت : إذا كان هذا هو إعتقاد البوليس فسوف تكون هناك خطابات أخرى بدون شك ، ولايدهشنى أنه أبدى اهتماما خاصا بالفتيات الجميلات .

- وهذا هو سبب دهشتى فى أنه لم يبعث بأى خطاب لمس هولاند ...

- مس هولاند .. ؟ أهى مربية ابنى سيمنجتون ؟ تلك التى رأيتها فى الحلم .. ؟

- نعم .

- من الجائز أنها تلقت خطابا ولم تشأ الأعتراف بذلك .

- كلا .. أنها أكدت العكس ، وقد صدقها ناش .

قالت مس ماربل فى تفكير :

- هذا أمر هام جدا ... بل أنه أهم شىء سمعته حتى الآن .



عاتبتنى جوانا ، ونحن فى طريق العودة إلى " ليتل فورز " لأننى كررت ماذكره لى ناش عن أحتمال إرسال خطابات أخرى ، فقلت :

- ليس لهذا أية أهمية .

- هذا خطأ ، فلعل مسز دين كالتروب هى التى تحررها .

- أنك تقولين ذلك ، ولكنك لاتؤمنين به .

- الحق أنى أصبحت لاأدرى .. أنها امرأة غريبة الأطوار .

وفى غداة اليوم التالى ، كنت عائدا بالسيارة من اكسهامبتون ، حيث تناولت العشاء ، وكان الليل قد هبط ، وواجهت مشكلة مع مصباحى السيارة الأماميين ، وقمت بمحاولات عدة لإضاءتهما وإطفائهما ، ولم أجد أخيرا بدا من الوقوف بالعربة لفحصهما . وأفلحت فى إصلاحهما ثم استأنفت سيرى .

وكان الطريق مقفرا ، وبلغت مشارف ليمستوك دون أن ألتقى بأحد . ورأيت أول بيوت البلدة ، ومن بينها مبنى المعهد النسائى ، بأبراجه السوداء التى ترتفع فى السماء . وأبطأت السير ثم توقفت . ولاأدرى لماذا ؟ ربما لأننى رأيت شبحا يتسلل من الباب الحديدى خلسة . مهما يكون فقد دفعنى الفضول إلى مغادرة مكانى . ورأيت الباب الحديدى مواربا ، فدخلت ، وتقدمت فى الطرقة التى تؤدى إلى الباب العمومى.

ووقفت هناك حائرا لاأدرى ما الذى جاء بى . وكنت لاأزال فى حيرتى عندما خيل لى أننى أسمع حفيف ثوب ، فأسرعت على الفور إلى الناحية التى بدا لى أن الصوت صدر منها ، وإذ لم أر أحدا تقدمت بضع خطوات ولم ألبث أن وجدت نفسى أمام نافذة

وألقيت نظرة إلى الداخل وأرهفت السمع . كان الصمت مخيما ، ومع ذلك فقد كنت شبه واثق بأن هناك شخصا ما .

وكنت لاأزال ضعيفا ، ولاأحسن القفز والوثب ، ولكننى تمكنت مع ذلك ، وبشىء من الجهد من تسلق النافذة . وهبطت إلى الأرض محدثا صوتا لم أكن أريد أن يصدر منى . وبقيت لحظة لاأتحرك . وإذ خيل لى أن أحدا لم يسمعنى ، تقدمت فى الظلام ، فى حذر . وسمعت حركة خفيفة على يمينى ، فأخرجت مصباحى الكهربى من جيبى وأضأته .

وسمعت عندئذ صوتا خافتا جدا يقول : أطفىء هذا . وكان صوت القوميسير ناش. وأخذنى من ذراعى ومضى بى إلى طرقه ليس بها نوافذ وهناك أضاء مصباحه وسلط ضوءه على وجهى وهو يقول فى حزن أقرب منه إلى الغضب :

- أنه القدر .. أكان لابد أن تختار هذه اللحظة بالذات لكى تأتى ؟

اعتذرت قائلا : أننى آسف . ولكن خطر لى فجأة أن شيئا غير عادى يحدث هنا .

- هل رأيت أحدا ؟

- لست واثقا . خيل لى أننى رأيت شخصا يتسلل من الباب الحديدى ولكننى لاأستطيع أن أجزم أننى رأيت أحدا . ثم سمعت بجوار البيت بعد ذلك حفيف ثوب .

قال ناش : لم يخدعك احساسك ، فقد تسكع شخص حول البيت قبل أن تحضر أنت بقليل ، وتردد أمام النافذة ثم أسرع بالإبتعاد ، ولاريب أنه سمعك .

اعتذرت للمرة الثانية ثم سألته : هل أستطيع أن أعرف ماذا تتوقع ؟

أجاب : أن الأمر بسيط . أننى أعتمد على أن كاتب الخطابات المجهولة لايمكن أن يكف عن كتابتها ، على الرغم مما فى ذلك من خطر عليه . أن كتابة الخطابات عنده حاجة ملحة ، تماما كحاجة المدمن إلى المخدر الذى لايمكن الإستغناء عنه .

وأمسك لحظة ثم استطرد يقول : أعتقد أن المرأة التى تكتب هذه الخطابات ، أيا كانت شخصيتها ، تحرص على أن تشبه خطاباتها المقبلة التى سبق أن أرسلتها ليست هناك أية صعوبة فى الرسائل نفسها ، فما عليها الا أن تقتطع الحروف والكلمات من الصفحات التى انتزعتها من الكتاب . ولكن لعلها تعانى بعض المتاعب فيما يتعلق بالظروف ، فلابد لها من أن تكتبها على نفس الآلة الكاتبة التى سبق لها أن أستخدمتها ، فان من التهور أن تستخدم آلة أخرى أو أن تكتب العناوين بخط يدها .

قلت متشككا : أراك مقتنعا تماما أنه ستكون هناك خطابات أخرى .

- هو ذلك . وأراهنك بما تريد على أن تلك المرأة تشعر بالأطمئنان والأمان أكثر من

أي وقت مضى ، فان الذين على شاكلتها يعتقدون دائما أن الآخرين أغبياء . صفوة القول أننى أتيت هنا لكى أنتظرها ، مقتنعا بأنها ستأتى من أجل الآلة الكاتبة .

- أهى مس جينسن التى كنت تتوقع أن تجدها ؟

- ربما ..

- أما زلت لا تعرف من هى ؟

- لست متأكدا من أى شئ بعد .

- ولكنك تشتبه فى أمرها ؟

- نعم . غير أن العدو ماكر يا مستر بورتون ويعرف كل الخدع .

وأدركت أن ناش لا يضيع وقته وأنه سوف يهتدى الى الجانى إن آجلا وإن عاجلا . واعتذرت اليه للمرة الثالثة ثم عدت الى سيارتى .

وكان هناك شخص يقف بجوارها . ودهشت جدا عندما عرفت فيه ميجان . وصاحت تقول :

- كنت واثقة من أنها سيارتك . من أين تأتى ؟

- وأنت .. ؟ ماذا تفعلين فى الخارج فى مثل هذا الوقت ؟

- اننى أتنزه .. أننى أحب أن أمشى فى الريف ، فليس هناك أحد لكى يعاكسك ويثقل عليك بحماقاته ، ثم انك تستطيع أن تستنشق الهواء النقى وروائح لا تفطن اليها أثناء النهار .

قلت : أننى معك فى كل هذا . ولكن لا يمشى فى الليل غير القطط والساحرات . ولا ريب أن البيت كله مشغول عليك الآن .

- أتظن هذا .. ؟ ما من أحد يهتم أبدا بالمكان الذى أكون فيه ، ولا بما أفعل .

سألتها : وكيف الحال هناك ؟

- لا بأس به .

هل تعتنى مس هولاند بك الآن قليلا ؟

انها ظريفة جدا .. غبية بعض الشئ ، ولكن هذا ليس ذنبها .

- جميل منك هذا القول ، ولعلك على حق ولكن ، اصعدى . سأوصلك الى البيت..

لم يكن حقا ما قالت من أن أحدا لا يهتم بها ، فقد كان سيمنجتون واقفا أمام الباب عندما وصلنا . وعرف سيارتى ، وصاح يقول : حتى قبل أن أوقفها :

- هل ميجان معك ؟

- اننى أتيتك بها .

وقال حين هبطت من السيارة : لا يجب أن تخرجى هكذادون أن تقولى لأحد يا ميجان . ان مس هولاند بحثت عنك فى كل مكان .

تمتمت ميجان ببضع كلمات غير مفهومة ثم مرت أمامه ودخلت البيت . وتنهد سيمنجتون وقال :

- ان الفتاة الكبيرة التى لا أم تعنى بها لمسئولية كبيرة .. ثم انها كبرت على المدرسة الداخلية .

ونظر الى فى ارتياب وقال : هل اصطحبتها فى نزهة ؟

وآثرت أن أجعله يعتقد ذلك وأجبته بالإيجاب .

***

الفصل الحادى عشر

١

استولى على الجنون فى اليوم التالى . وعندما أفكر فيما حدث فى ذلك اليوم ، لا أجد تفسيرا آخر غير ذلك .

فقد كنت أمضى الى لندن مرة كل شهر لكى يفحصنى الدكتور ماركوس كنت . وكنت استقل القطار . وقررت جوانا فجأة ألا ترافقنى كما كانت تفعل كل مرة . وقد قلت لها اننا سنعود فى مساء اليوم نفسه ، ولكنها أصرت على رأيها وقالت فى شىء من الغموض ان لديها ما يشغلها ، وأن من الجنون ان تظل فى القطار وتعانى من الحر فى حين ان الطقس جميل فى الريف . واعترف أن هذا صحيح ولكن لم يكن هذا من شيمها أبدا .

واذ اكدت لى اختى انها ليست بحاجة الى السيارة ، فقد ذهبت بها الى المحطة ، وهى ، لأسباب غامضة لا يعرفها الا مدير الشركة ، تقع على بعد كيلو متر من البلدة..

والتقيت فى منتصف الطريق بميجان ، وكانت تتمشى ، فتوقفت بجوارها وخاطبتها قائلا :

- صباح الخير يا ميجان . ماذا تفعلين .

- اننى اتنزه .

ولكنك تمشين ببطء شديد كأنك سلحفاة .

- ذلك لأنه لا وجهة معلومة لى .

- اذا كان الأمر كذلك فأصعدى ... سوف ترافقيننىإلى المحطة .

وجلست بجوارى وسألتنى :

أين تذهب ؟

- الى لندن ، لكى أرى طبيبى .

- انك لست مريضا ، أليس كذلك ؟

- كلا . بل اننى فى أتم صحة ، وأرجو أن يكون ماركوس كنت مسرورا منى .

وفى المحطة تركت السيارة فى الموقف ثم ابتعت تذكرتى ، ولم يكن على الرصيف غير اناس قلائل ، لم اكن اعرف أحدا منهم .

واقترضت ميجان منى قطعة من النقود ومضت لكى تشترى قالبا من الشيكولاتة .

ونظرت اليها فى سخط متزايد ، فقد كانت تلبس حذاء لم يعد له شكل ، وجوارب خشنة غليظة ، وجونلة وجاكيت غير متجانستين ورثتين . وما كان يجب ان أكترث لكل هذا ، ولكننى شعرت بالضيق مع ذلك . وقلت لها فى غلظة ، عندما عادت :

- ميجان ... لماذا ترتدين هذه الجوارب البشعة ؟

نظرت الى مشدوهة وقالت :

وماذا الذى تأخذه عليها ؟

- انها فظيعة ... وهذه الجاكيت ؟ ... اتعتقدين انها جميلة ؟

- لا بأس بها ابدا ... فاننى البسها منذ سنوات .

- هذا ما كنت أشك فيه ... ولماذا ...

ودخل القطار المحطة فأمسكت عن موعظتى ، وصعدت الى مقصورة شاغرة ، وجلست . وفتحت النافذة . وكانت ميجان واقفة على الرصيف وقد رفعت وجهها الى . وسألتنى عن سبب ضيقى فقلت :

- اننى لست متضايقا ولكننى أغلى من الغيظ ... والغضب ... بسبب ما أراه من اهمالك وعدم اهتمامك بنفسك .

اجابت : مهما يكن فلن اكون جميلة ... فما الجدوى اذن ...

- ألا تعرفين كيف تكونين اذا ما اهتممت بنفسك ؟ .. كم أود لو تعنى بنفسك ، ولو مرة ... مرة واحدة وددت لو أن آخذك معى الى لندن ، وأن أجهزك من اخمص قدمك حتى أعلى رأسك .

وتحرك القطار . وكانت ميجان لا تزال واقفة ، وقد رفعت وجهها الصغير نحوى فى تفكير .

وعندئذ استولى على الجنون كما سبق القول .

فقد فتحت الباب فجأة ، وأمسكت ميجان من ذراعها ورفعتها الى المقصورة ، ووقعت على ارضية العربة فى شئ من الخشونة . وساعدتها على الوقوف .

وسألتنى وهى تنفض ركبتيها :

لماذا فعلت هذا ؟ أجبتها : سوف تأتين معى الى لندن وعندما افرغ من الاهتمام بك وتنظرين الى المرآة ، سترين كيف تبدين ... اننى سئمت ان اراك هكذا .

واقبل الكمسارى عندئذ فأعفاها عن الرد . ودفعت له ثمن تذكرة لها ذهابا وايابا فى حين جلست هى أمامى وراحت تنظر الى فى خوف واحترام . وقالت بعد ان انصرف الكمسارى :

- هل تأخذ قراراتك هكذا فجأة ؟

- دائما . اننا جميعا هكذا فى العائلة .

وكيف كان فى مقدورى ان أفسر لها مشاعرى ... بدت لى وهى واقفة على الرصيف كالكلب الضائع ، ولكنها بدت لى الآن شهم لم يتأكد بعد انهم يخرجون به للنزهة . وقلت :

- اظن انك تعرفين لندن ؟

- نعم . فقد ذهبت اليها مرارا ، عندما كنت فى المدرسة . كما ذهبت اليها لمعالجة أسنانى .

- ولكنك سترين لندن أخرى هذه المرة .

وعندما بلغنا لندن كان لا يزال على موعدى مع ماركوس كنت نصف ساعة ، فركبنا سيارة أجرة ، وذهبت بها الى محل مارى جراى خياطة جوانا ، وهى امرأة ظريفة فى الأربعين من عمرها . وقلت لميجان قبل أن ندخل المحل :

- انت ابنة عمى .

- لماذا ؟

- لا تناقشينى .

وخاطبت مدام جراى قائلا :

اننى اتيتك بابنة عمى . كانت جوانا تريد ان تأتى بنفسها ولكن منعها مانع ، وهى تفوض اليك كل شئ يجب أن تكون هذه الفتاة كاملة الزينة عند انصرافها من هنا. ولك مطلق الحرية فى الجوارب والحذاء والملابس الداخلية وكل شئ . وأظن ان حلاق جوانا على مقربة .

- انه على بعد خطوات . سألجأ اليه . اطمئن سوف أهتم بكل شئ ، فان هذه الصغيرة جميلة جدا .

قلت :

مرحى ! ... سآتى فى الساعة السادسة ، وأرجو ان تكونى قد فرغت منها .

* * *



ابدى ماركوس كنت أرتياحه بعد ان فحصنى بدقة وقال لى اننى شفيت تماما ، وان الهواء النقى والحياة الهادئة لهما فعل المعجزات فقلت له :

- اننى معك فيما يتعلق بالهواء الطلق . اما الحياة الهادئة فلا .

ورويت له كل شئ عن الخطابات المجهولة ، وعن انتحار مسز سيمنتجون ومقتل أجنس وادل ، فهز رأسه وقال :

- اننى قرأت عن هذه الجريمة ولكننى حسبت انها جريمة غرامية .

ودعانى الى تناول العشاء معه ، ولكننى اعتذرت له بأننى مشغول ، فضحك فى خبث وقال :

- آه ... سيدة جميلة ... أرى انك شفيت تماما .

ووصلت الى محل مارى فى تمام الساعة السادسة . واستقبلتنى مارى واصبعها على شفتيها قائلة :

- لن تصدق نفسك ... ربما كان لا يصح ان اقول هذا ، ولكننا قمنا بعمل جميل .

كانت ميجان واقفة أمام المرآة تتأمل صورتها .

وأعترف بأننى ما أن نظرت اليها حتى انبهرت منى الأنفاس ، وكدت لا أعرفها . فقد بدت لى طويلة القامة هيفاء ، بشعر رقيق أملس . وكانت ترتدى جوارب حريرية جميلة وحذاء أنيقا جدا أظهر جمال ساقيها .

وكانت متوردة الوجه ولم تكن شفتاها بحاجة الى الأحمر ... تغيرت تغييرا تاما ، وبدت مخلوقة أخرى غير التى أتيت بها .

ورأتنى فى المرآة فاستدارت وقالت فى شئ من الهدوء والخجل معا :

اننى ... اظن اننى أحسن .

صحت :

أحسن ! .. ما هذا التواضع ! ... هلمى بنا لتناول العشاء ، واننى لأستحق الشنق

اذا لم يلتفت الرجال خلفك أكثر من مرة .

لم تكن ميجان جميلة جدا ، ولكن وجهها كان غريبا ومثيرا للاهتمام . كانت ذات شخصية قوية . وجعلتها تتقدمنى ونحن ندخل المطعم ، وعندما أسرع اليها رئيس السقاة ، أحسست بذلك الغرور الأحمق الذى يتملك الرجل حين يتوهم انه امتلك مالا يمتلكه غيره .

وبعد ان تناولنا العشاء رقصنا معا . وكانت خفيفة بين ذراعى وتجيد الرقص ، واذ أبديت دهشتى لذلك قالت أنها تعلمت الرقص وهى فى المدرسة .

وعدنا الى المائدة وهى شديدة الابتهاج . وكنت أنا الآخر كذلك . ومر الوقت دون ان أشعر به ... كنت قد جننت تماما .

وأعادتنى ميجان الى الأرض عندما قالت فجأة :

ألم يحن الوقت لكى نعود .

وكأننى أصبت بضربة شديدة على أم رأسى ، فقد كنت أعيش منذ ساعات فى دنيا من الخيال برفقة المخلوقة التى خلقتها . كنت مجنونا ...

وصحت :

- يا الهى !

والقيت نظرة الى ساعتى فاذا بآخر قطار الى ليمستوك قد انطلق . وقلت :

- لا تتحركى ... سأتكلم فى التليفون .

واتصلت بشركة كبيرة من شركات سيارات الرميس . وطلبت منها أن ترسل الى أمتن وأسرع سيارة لديهم ثم عدت الى ميجان وقلت لها :

- لقد انطلق القطار ... سنعود بالسيارة .

- حقا ؟ ... هذا جميل .

وأحببتها كثيرا عندئذ ، فان كل شئ يبهجها . وكل ما اقترحه عليها كان يروق

وعادت بنا السيارة فى جوف الليل . وكان الليل قد تأخر بنا جدا . وقلت وأنا اشعر بتأنيب الضمير :

أخشى أن يكونوا قد انشغلوا لغيابك ، وراحوا يفتشون عنك فى كل مكان .

أجابت فى هدوء :

لا أظن . فانه يحدث لى أحيانا أن أخرج ولا أعود الا وقت الغذاء .

- ولكن اليوم فاتك الغذاء والعشاء .

والظاهر ان اليوم كان من أيام ميجان السعيدة ، فقد وجدنا البيت ضاربا فى الظلام ، يخيم عليه الهدوء والسكون . ومضينا الى الواجهة الخلفية حيث تقع غرف الخدم . وقذفنا ببعض الحصى الرفيعة على الواح غرفة روز فجاءت بعد قليل وفتحت النافذة ، ومارأت ميجان حتى أسرعت وفتحت الباب وهى تقول :

- هذا عجيب . كنت اظن انك ترقدين فى غرفتك فقد تناول السيد ومس السى العشاء فى وقت مبكر ، ثم خرجا معا للنزهة . وعندما عادا سأل السيد عنك فقلت له انك تنامين و ...

وأسرعت أقاطعها قائلا لميجان ان خير ما تفعل الآن هو أن تأوى الى فراشها فقالت لى :

طابت ليلتك . واشكرك من صميم قلبى ، فان هذا اليوم اسعد أيام حياتى كلها .

وانطلق بى السائق بعد ذلك الى " ليتل فورز " ، ومنحته بقشيشا كبيرا وعرضت عليه ان يقضى الليلة فى البيت اذا أراد ، ولكنه آثر العودة على الفور .

وانفتح الباب ونحن نتكلم . وكانت جوانا فى الردهة فقالت :

- آه ... ها أنت أخيرا .

هل قلقت على ؟

- أبدا ، وانما حسبت انك ستقضى الليلة فى لندن وتلهو قليلا .

- وهذا ما فعلت تقريبا .

ورويت لها ما حدث ، وعندما فرغت قالت :

ولكن يا جيرى ... هل جننت ؟ ... هذه اشياء ما كان يجب أن تقدم عليها اطلاقا. ان ليمستوك كلها ستتحدث عن هذه المغامرة غدا .

- هذا جائز . ولكن لا يجب ان ننسى ان ميجان ليست الا طفلة على كل حال .

- طفلة فى العشرين من عمرها . كيف تذهب الى لندن بفتاة فى هذه السن وتلبسها من قدمها الى رأسها . ستكون هذه فضيحة كبيرة ، وأخشى يا عزيزى جيرى أن تضطر الى الزواج من هذه الميجان التى ليست الا طفلة .

وكانت تضحك ، ولكنها كانت تتكلم بجد فى الواقع . واكتشفت فى هذه اللحظة اكتشافا مهما جعلنى أقول :

- حسنا . اذا كان ولابد من الزواج بها ، فسأتزوجها . بل اظن ان هذا سيروق لى..

وارتسم على وجه جوانا تعبير غريب ، ونهضت وسارت الى الباب ، وهناك قالت فى لهجة جافة :

- كأنك لا تدرى انني كنت اعرف هذا منذ وقت طويل . .

وخرجت وتركتنى وحدي والكأس في يدى ، وانا لا أزال مشدوها من اكتشافى الحديث .

***

الفصل الثانى عشر

١

لا أعرف بماذا يحس الرجل وهو يتقدم لطلب الزواج ، فهو فى الروايات جاف الحلق تكاد ياقته أن تخنقه ويجد نفسه فى حالة مؤسفة من الانفعال .

ولكننى لم أشعر بأى شئ من هذا ، فقد كانت فى رأسى فكرة معينة رأيتها فى ذلك الوقت ممتازة . كان على أن ادبر الأمر بأسرع ما أستطيع ، ولم يكن هناك ما يدعو للانفعال .

ومضيت فى الساعة الحادية عشرة الى بيت سيمنجتون . وفتحت لى روز ونظرت الى نظرة كان لها معناها ، وادخلتنى الى الصالون الصغير .

وشعرت بشئ من القلق ، فلعل ميجان لقيت من التعنيف والتوبيخ مالا طاقة لها به ، ولكننى اطمأننت عندما دخلت ، فلم يبد عليها انها تلقت اى شئ من ذلك ... كانت قد ارتدت ثيابها القديمة ، ولكن الثياب نفسها بدا كأنه أصابها شئ من التغيير. لا شك لأن ميجان لم تعد كما هى . كانت تقف بطريقة أخرى كالمرأة حين تعرف قيمتها وجمالها . وأدركت فجأة انها أصبحت فتاة كبيرة .

قلت لها :

ارجو ألا تكون مغامرة الأمس قد سببت لك بعض المتاعب .

أجابت فى هدوء :

- أبدا .

ثم غمزت لى بعينها ، واستطردت تقول :

- الواقع اننى سمعت الكثير . قيل لى ان هذا الغياب مشبوه وغير ذلك ، ولكن لا أهمية لكل هذا ، فانك تعرف طبيعة الناس . انهم يخلقون من الحبة قبة .

هنأت نفسى لفلسفة ميجان ،وانتقلت الى سبب زيارتى فقلت :

- ميجان ... اننى أتيت الآن لأن لدى اقتراحا أعرضه عليك . انك تعرفين اننى أشعر بود كبير نحوك ، واظن انك ، من ناحيتك تحبيننى قليلا ، وقد خطر لى أن أحسن شئ هو ان نتزوج .

- أوه !

لم تنطق بغير هذه الكلمة ، ولكنها كانت تدل على انها فوجئت ... لا دهشة ولا استغراب ... لا شئ أكثر من انها بوغتت . وسألتنى بعد لحظة كشخص لم يتأكد انه فهم تماما :

- هل قلت الآن انك تريد أن تتزوجنى ؟

- نعم . هذا هو مطمحى الوحيد واعز رغبة لى .

- معنى هذا انك تحبنى ؟

- نعم ياميجان ... اننى احبك .

نظرت الى مليا وقالت أخيرا فى هدوء :

- أظن انك أظرف رجل فوق الأرض ... ولكننى لا أحبك .

- سوف اجبرك على أن تحبينى .

- كلا . لا أحب أن يجبرنى أحد . ثم اننى لست المرأة التى تنفعك فاننى أعرف الكراهية ولا أعرف الحب .

- ان الكراهية تزول ، أما الحب فلا يموت .

- هل هذا صحيح ؟

- هذا ما اعتقده .

وسادصمت قصير قلت بعده :

- أنت ترفضين اذن ؟

- نعم .

- اليس هناك أى أمل ؟

- وما الجدوى ؟

قلت :

- انك على حق . لا داعى لكى تشجعينى . ومع ذلك فلن أفقد الأمل .



قطعت الطريق . عائدا الى " ليتل فورز " وانا مستغرق فى التفكير ، وأشعر بشئ من السخط لأحساسى بأن روز ، الخادمة راحت تتابعنى بعينيها .

وكانت قد صدعتنى بحديثها قبل ان تدعنى انصرف .

شرحت لى ، وفى اسهاب كبير ، انها لم تعد كما هى منذ موت مسز سيمنجتون ، وانه لولا الولدان ما بقيت فى البيت لحظة واحدة ، وانها ترثى كثيرا لمستر سيمنجتون المسكين ، وانه لابد لها من الرحيل على كل حال لأنها لا تستطيع أن تقوم بالخدمة فى البيت بمفردها ، وان ما من خادمة تريد أن تأتى لمساعدتها خصوصا بعد أن وقعت جريمة قتل فى البيت .

وصحيح ان ألسى هولاند ظريفة ورقيقة وتساعدها كثيرا ، ولكن كل ظرفها ورقتها سوف يتبخران بمجرد أن تصبح الزوجة الثانية لمستر سيمنجتون . وصحيح ايضا ان مستر سيمنجتون لا يدرى شيئا مما يحاك حوله ، ولكنه رجل ضعيف ، شأنه فى ذلك شأن كل أرمل ، ولن يلبث ان تطويه مس هولاند .

واضطررت ان استمع الى كل محاضرتها . خاصة وانها كانت تمسك قبعتي بين يديها ، وكان لابد من الانتظار ريثما استردها .

ورحت أمشي وأنا اتساءل اذا كان في قولها شئ من الصحة . واذا كانت مس هولاند تعمل على أن تغدو الزوجة الثانية لسيمنجتون . وقلت لنفسي بعد امعان التفكير لماذا لا تتزوجه .. سيجد الولدان فيها أماً لهما وسيجد أبوهما فيها زوجة جميلة

ولعلك تقول انني كنت شديد الغرور بنفسي حين ذهبت وطلبت من ميجان أن تتزوجني ، ولكن الحقيقة انني كنت واثقاً جدا من انني يجب أن اسهر على ميجان . وكنت متأكدا أنه يقع على عاتقي أن أسعدها ، ومقتنعاً بأنني لن أستطيع العيش بدونها ، بحيث بدا لي أن من الطبيعي ان تبادلني نفس الشعور .

ولكنني لم أقر بالهزيمة ... فان ميجان هي المرأة التي قدر لي ان اتزوجها ، وسوف اتزوجها .

ومضيت الى مكتب سيمنجتون . واستقبلني الرجل على الفور . ولكنني رأيت من التواء شفتيه وتوتر حركاته ما جعلني أفهم أن زيارتي لم تسره كثيرا ، وقلت له بعد تبادل التحية :

– لن أحاول اللف والدوران ، ولكنني أظن انك أدركت انني أحب ميجان ، وقد طلبت منها الآن أن تتزوجني ولكنها رفضت .غير انني لا أعتبر هذا الرفض منها نهائيا .

تغيرت ملامح سيمنجتون ، وقرأت ما اعتمل على وجهه بسهولة . فقد كانت ميجان في بيته عبارة عن عنصر يعكر صفاء الجو . وكنت واثقاً أن الرجل عادل وكريم، وانه لن يفكر ابدا في طرد ابنة زوجته من بيته ، ولكن زواج ميجان كان يزيح عن كاهله حملا ثقيلا . وقال لي وهو يبتسم ابتسامة رقيقة :

- لم اكن اتوقع هذا صراحة . اعرف انك تشعر بميل كبير الى ميجان ، ولكنها ليست الا طفلة .

- ليست طفلة . اننى أعرف أنها ستبلغ الحادية والعشرين من عمرها بعد شهر او شهرين . ومن ناحيتى أنا فإننى على استعداد لكى أقدم لك كل المعلومات التى يمكن أن تطلبها . اننى رجل موسر ، وعشت طول حياتى شريفا ، وأنا واثق إننى سأسعد ميجان .

- لست أشك فى هذا ... ولكن عليها هى أن تقرر .

قلت :

- لست قلقا من هذه الناحية . ما على الا أن أنتظر . ولكننى أردت ان احيطك علما بنواياى .



التقيت فى الخارج بمس اميلى بارتون ، وكانت تحمل فى يدها السلة التى تحملها دائما عندما تذهب لكى تتسوق . وخاطبتنى قائلة :

- صباح الخير يا مستر بورتون . قيل لى انك ذهبت الى لندن أمس .

أجبتها بأن هذا صحيح . وخيل لى ان فى عينيها كثيرا من الود ، وأن فيهما أيضا كثيرا من الفضول ، فأردفت أقول :

- ذهبت لكى أعرض نفسى على طبيبى .

ابتسمت كأنها لا تصدقنى وقالت :

- يبدو ان القطار اوشك ان يفوت ميجان وانها تعلقت به وهو منطلق .

قلت :

- بعد الحاح كبير مني . وقد رفعتها بنفسى الى المقصورة .

- من حسن حظها انك كنت موجودا ، ولولاك لوقع لها حادث .

ولا يمكن تصور مدى ما يشعر به الرجل من ارتباك وضيق فى حضرة فتاة عانس رقيقة يستبد بها الفضول وانقذتنى منها مسز دين كالتروب ، فقد اقتربت منا هى ومس ماريل . وقالت الأولى :

- صباح الخير . يبدو انك اقنعت ميجان أخيرا بأن تشترى ثيابا جديدة وأنيقة . وأننى أهنئك على ذلك . ان الرجال عمليون فى هذه المسألة ، ولو كنت مكانك لأتعبتنى هذه الفتاة فى اختيار ما تريد .

وعلى أثر هذه الملاحظة العجيبة أسرعت مسز دين كالتروب داخل محل الأسماك . وبقيت مس ماريل معى ، وقالت وعيناها تبتسمان :

- ان مسز دين كالتروب امرأة عجيبة ... انها لا تخطئ ابدا .

قلت :

- لهذا السبب بالذات تثير القلق بعض الشئ .

قالت مس ماريل :

- ان الصدق وسلامة الطوية يسببان القلق دائما .



احسست بالانفعال لمجرد فكرة اننى سألتقى بجوانا ، ولكن ما ان عدت الى البيت حتى ادركت اننى أزعجت نفسى دون داع ، فان جوانا لم تكن هناك ، ولم تعد لتناول الغذاء . وكانت الساعة قد بلغت الثالثة والنصف عندما دخلت الصالون كالقنبلة . وكنت قد سمعت سيارة تقف أمام البيت . وانتظرت تقريبا أن أرى جريفيث ولكن

السيارة انطلقت وكانت جوانا بمفردها .

وكانت مضطرمة الوجه ، يبدو عليها الاضطراب ، مما يدل على أن شيئا قد حدث فسألتها :

ما الخبر ؟

فتحت فمها ولكنها لم تلبث أن أطبقته ، ثم انهارت فوق مقعد وهى تحدق النظر أمامها . وأعدت سؤالى فأجابت تقول هذه المرة :

- اننى قضيت يوما رهيبا .

- ما الذى حدث ؟

- اننى فعلت أمورا لا يمكن ان تصدقها ، فقد كنت أتنزه دون ما غاية محددة ، وارتقيت التل ، ثم مشيت بضعة أميال أفضت بى الى واد صغير فى وسطه مزرعة تبدو كما لو كانت ضائعة . وقلت لنفسى اننى قد أجد فيها قليلا من اللبن أو أى شئ يمكن أن أشربه ، ودخلت الفناء ، وانفتح باب فى هذه اللحظة خرج منه أوين .

- أوين جريفيث ؟

- حسب ان الممرضة هى التى جاءت ، فقد كان بالمزرعة امرأة فى حالة وضع ، وكان ينتظر الممرضة ، اذ بعث بها لكى تأتى بطبيب آخر ، لأنه كان يخشى ان تسوء الأمور . وما أن رآنى حتى قال لى " تعالى . سوف تساعديننى ، فوجودك معى أفضل من عدمه " . ولما قلت له اننى لم أفعل شيئا كهذا من قبل ، واننى لا أعرف أى شئ قال : " انك امرأة ، اليس كذلك ؟ .. لا أفهم اذن لماذا لا تبذلين جهدك لمساعدة امرأة أخرى " . واستطرد يقول اننى سبق ان قلت له اننى أهتم بالطب واننى كنت أود أن أكون ممرضة ، وان هذا كله مجرد كلام ، وان الفرصة أمامى الآن لكى أتصرف كأنسانة حقيقية لا كبلهاء . وعندئذ فعلت أشياء لا يمكن ان تتصورها يا جيرى ، فقد امسكت الأدوات وغليتها وناولتها له . واستولى على التعب بحيث خيل

لى اننى أصبحت لا أستطيع الوقوف . وكان عملا فظيعا . ولكنه أنقذ الأم ... والطفل أيضا ، وكان أوين يعتقد انه لن ينقذه . يا الهى !

وغطت جوانا وجهها بيديها . ونظرت اليها فى شئ من الارتياح ، وأنا أشكر جريفيث فى قرارة نفسى ، فقد أرغم جوانا على أن تواجه حقائق الحياة مرة . وقلت :

– هناك خطاب لك فى الردهة ... وأظنه من بول .

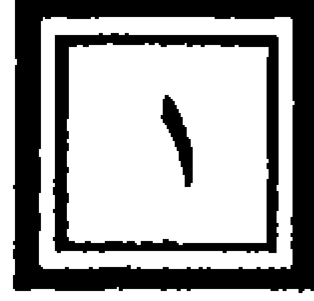
ومضيت وأتيتها بالخطاب فأخذته منى وفضته ، وكان من بول حقا . وألقت اليه نظرة سطحية ثم تركته يقع على الأرض . وأردفت تقول بعد صمت طويل :

– لم يكن لدى اية فكرة يا جيرى عن عمل الطبيب ... انه بحاجة الى شجاعة كبيرة ... والواقع انه رائع جدا ... لقد ظل يكافح بكل قواه ، واحسست انه لايريد ان يقهر ولا ان يقر بالهزيمة ... كان فظا معى ... وفظيعا ... ولكنه كان رائعا .

لم أجب . كان خطاب بول لايزال ملقى على الأرض . ونظرت اليه فى شئ من السرور . لم يكن هناك شك فى ان جوانا قد شفيت من بول .

* * *

الفصل الثالث عشر



لا تأتى الأمور ابدا كما ننتظر ونتوقع .

ولم أكن أفكر إلا فى شئونى وشئون جوانا عندما سمعت فى صباح اليوم التالى صوت ناش فى التليفون يأتينى بنبأ هام قائلا :

- انها وقعت فى ايدينا يا مستر بورتون !

- هل تعنى ؟ ..

- هل هناك من يسمع ؟ .. أيزعجك أن تأتى الى القسم لحظة .

وبعد بضع دقائق كنت فى مكتب ناش ، وكان معه الرقيب باركنز . وكان ناش متألقا ، وبادرنى بقوله :

- كانت المطاردة طويلة ... ولكننا اقتربنا من النهاية .

ومد لى يده بخطاب مكتوب على الآلة الكاتبة ، وكان مضمونه لطيفا بالنسبة للخطابات الأخرى ، وهذا نصه :

" لا تتوهمى انك ستأخذين مكان الميتة . ان المدينة بأسرها تسخر منك ، فسارعى بالهرب دون انتظار وإلا فات الأوان . هذا أنذار ، ولا تنسى ما حدث للفتاة الأخرى . غادرى المدينة ولا تعودى أبدا " .

وتلا ذلك بضع كلمات كلها سباب وقذع . وقال ناش :

- هذا الخطاب تلقته مس هولاند صباح اليوم .

وقال الرقيب باركنز :

- استغربت انها لم تتلق أى خطاب من قبل .

سألت ناش :

- ومن الذى كتبه ؟

اختفت الفرحة من وجهه وقال :

- اننى آسف لأنها ستكون صدمة عنيفة لرجل شهم ، ولكن لا حيلة لى . ولعله كان يشك فى الأمر .

عدت أسأله :

- من الذى كتبه ؟

- مس ايميه جريفيث !



ومضى ناش والرقيب باركنز الى بيت جريفيث بعد ظهر اليوم ومعهما أمر بالقبض عليها وكان ناش قد التمس منى أن أرافقهما قائلا :

- ان الدكتور جريفيث يحبك كثيرا ، وليس له أصدقاء كثيرون : هنا ، وأظن ان الأمر لن يشق عليك كثيرا يا مستر بورتون ، خصوصا وان وجودك سيساعده على تلقى الصدمة .

وطرقنا الباب ، وطلب المفتش ان يرى مس جريفيث ، فقادتنا الخادمة الى الصالون حيث أجتمع به مس هولاند وسيمنجتون وميجان ، وكانوا يتناولون الشاى مع إيميه

وتصرف ناش بلباقة كبيرة فطلب أن يختلى بمس جريفيث ، فنهضت وأقبلت نحونا وخيل لى لمجرد لحظة أن مسحة من الخوف ظهرت فى عينيها ، ولكنها تقدمتنا الى

غرفة صغيرة مواجهة وقالت فى صوت هادئ :

- أرجو أن لا يكون ذلك بسبب مصابيح سيارتى الخلفية .

وتكلم ناش فى هدوء وبلهجة مهذبة ونطق بالتحذيرات العادية التى يفرضها القانون ، ثم قال لها أنه مضطر الى اصطحابها معه وان معه اذنا بالقبض عليها ، وتلاه عليها ، وأتذكر الآن أن التهمة التى وجهت إليها هى تحرير الخطابات المجهولة ، ولكن لم يكن بالاذن أية اشارة الى جريمة القتل .

وألقت ايميه رأسها الى الخلف وضجت بالضحك قالت :

- ما هذا الهراء ؟ ... كيف تتهمنى بتحرير هذه الخطابات . لاشك انك فقدت عقلك . اننى لم أكتب كلمة واحدة من هذا الذى تقول .

اخرج ناش من جيبه الخطاب الذى تلقته مس ألسى هولاند وقال :

- اتنكرين انك كتبت هذا يا مس جريفيث ؟

ترددت لحظة خاطفة ثم قالت :

- طبعا . اننى أنكر ذلك . لكن لم أر هذا الخطاب قبل ذلك قط .

قال ناش دون أن يحتد :

- أرانى مضطرا الى أن أكذبك يا مس جريفيث ، فقد شوهدت وأنت تكتبينه على الآلة الكاتبة فى المعهد النسائى فى الساعة الحادية عشرة والنصف مساء أمس الأول . وشوهدت أمس وأنت تخرجين من البيت ومعك خطابات كثيرة ذهبت بها الى مكتب البريد .

- اننى لم أضع هذا الخطاب فى صندوق البريد أبدا .

- هذا صحيح . ولكنك أسقطته على الأرض أثناء وقوفك أمام شباك الطوابع خلسة لكى يلتقطه من يراه ويلقى به فى صندوق البريد دون أن يشك فى أمره .

- أبدا لم ...

- ما الخبر ؟ ... اذا كنت تواجهين أية متاعب يا ايميه فلا تنسى ان لك الحق فى مساندة محام ، واذا أردت أن ...

ولكنه لم يقل المزيد ، فقد انهارت ايميه ، ويداها على وجهها ، وتهالكت فوق مقعد قائلة :

- ليس أنت يا ريك ... أخرج ... أخرج ياريك .. لا أريدك .. أنت .

- ولكنك بحاجه الى محام .

- ليس أنت ... لن أستطيع ... لن أطيق ذلك .. لا أريد أن تعرف ...كل هذا .

ولاريب أنه فهم لأنه قال فى هدوء :

- سأرسل أشارة الى ميدمان باكسهامبتون اذن ، فما رأيك ؟

أومأت برأسها بالايجاب وهى تبكى . وغادر سيمنجتون الحجرة ، واصطدم بعتبتها بأوين جريفيث الذى خاطب ناش فى حدة قائلا :

- ما الخبر ؟ .. أختى ...

قاطعه ناش فقال :

- اننى آسف يا دكتور ... آسف حقا ، ولكن لا حيلة لى .

- أتظن انها هى التى .. كتبت هذه الخطابات ؟

- ليس هناك أى شك فى ذلك يا دكتور .

وتحول الى ايميه وقال :

- هل لك أن ترافقينا الآن يا مس جريفيث .

ونهضت . ومرت أمام أخيها دون أن تنظر اليه ، واكتفت بأن تقول له :

- لا تكلمنى يا أوين ... لا تقل شيئا ، ولا تنظر الى بالله !

وخرجت مع رجلى البوليس . ولم تبد من أوين حركة واحدة . كان كالمصعوق . وانتظرت بضع لحظات ثم قلت :

اذا كان فى استطاعتى أن أفعل شيئا يا جريفيث فلا تتردد ، وقل لى .

تمتم يقول :

ايميه ؟ ... لا أستطيع أن أصدق ذلك .

قلت له فى غير اقتناع كبير ان البوليس ربما أخطأ ، فهز رأسه وقال :

لو أنه أخطأ لتصرفت بغير ذلك . ولكننى ما كنت أعتقد هذا منها أبدا ... بل اننى لا أستطيع أن أصدق ذلك حتى الآن .

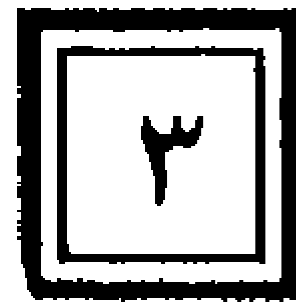
وتهالك فوق مقعد ، وبحثت عن قليل من الكونياك وأتيته به ، وازدرده مرة واحدة ، وأحسست أن الشراب قد أصابه بخير كثير وقال :

- اننى لم أتحمل الصدمة فى البداية ، ولكننى الآن أحسن . أشكرك يا بورتون ، ولكنك لا تستطيع أن تفعل شيئا .. لا أحد يستطيع أن يفعل شيئا .

هممت بأن أحتج ، ولكن دخلت جوانا فى هذه اللحظة ، ووجهها شديد الشحوب . ومضت الى اوين ، ونظرت الى قائلة :

اذهب انت يا جيرى ، فأننى سأهتم به .

وفيما أنا أغلق الباب رأيت جوانا تجثو بجوار مقعده



لن أستطيع أن أذكر الأحداث التى وقعت فى الأربع والعشرين ساعة التالية بطريقة متماسكة ، فانها احداث كثيرة ومختلفة لا رابط بينها .

ولكننى أتذكر عودة جوانا الى البيت . كانت شاحبة جدا وشديدة الاعياء . وقلت مداعبا فى محاولة لمواساتها :

كيف حال الملاك الحارس ؟

ابتسمت ابتسامة حزينة وقالت :

- انه لا يريدنى يا جيرى ... انه شديد الاباء ، وعنيد جدا .

حاولت أن أبتسم وقلت :

- ما عليك ! ان التى أحبها لا تريدنى هى الأخرى .

وبقينا مدة طويلة جالسين ، أحدنا بجوار الآخر نتبادل الأسرار الحزينة .

وقالت جوانا أخيرا :

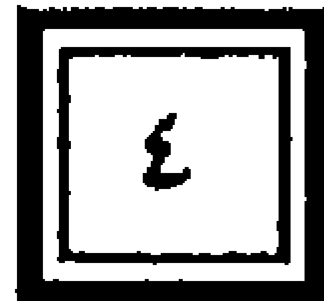
- صفوة القول أن أسرة بورتون غير مرغوب فيها فى الوقت الحالى .

قلت :

- هذا صحيح . ولكن ليس لهذا أية أهمية . حسنا اننا نعيش معا ، ففى هذا وحده العزاء .

قالت :

- قد يكون فيه بعض العزاء لك ، أما بالنسبة لى فلا .



أقبل أوين فى صباح اليوم التالى ، وكان شاعريا جدا فى مديحه لجوانا فقال:أنها فتاة مدهشة ومخلوقة رائعة ، وآسته وعرضت عليه الزواج فورا اذا أراد . ولكن كانت هذه تضحية كبيرة منها لن يقبلها أبدا . فهى من الطيبة والنقاء بحيث لا يرضى ان تلوثها الاوحال التى لن تلبث الجرائد أن تحركها عندما تسمع بالنبأ .

وأخبرنى ناش أن التهمة ضد ايميه ثابتة دون شك . وأن التفتيش فى بيت جريفيث أسفر عن وجود الصفحات المنزوعة من كتاب مس اميلى بارتون فى دولاب المهملات تحت السلم ، مخبوءة فى لفة من الأوراق التى تستخدم فى تغطية الجدران ، وأردف

يقول :

- وهو مخبأ أمين ، فانه لا يخطر لأحد أن يبحث عنها بين المخلفات والمهملات . وقد وجدنا أيضا مدقا ضخما وثقيلا كان قد أختفى من معمل الطبيب ، واننى أراهنك بما تشاء على انها ضربت أجنس وادل على رأسها به .

- وهل عثرتم على السيخ ؟

- كلا . ولن نعثر عليه ، فان المسكينة مجنونة كما تدل الظواهر ، ولكن ليس الى الحد الذى يدفعها الى أن تسهل مهمتنا ، فى حين انه يكفيها أن تغسله ، وان تعيده الى درج المطبخ .

وكان بيت القس واحدا من آخر الأماكن التى عرف النبأ . وذهلت مس ماربل ولم تصدق ذلك وقالت :

- كلا يا مستر بورتون ... هذا محال ... اننى واثقة من ذلك تماما .

- هو محال كما تقولين ، ولكنه صحيح مع ذلك : لقد نصب كمينا ، وشوهدت ايميه وهى تكتب الخطاب .

- هذا جائز ... قد تكون هذه النقطة صحيحة .

- ووجدوا فى بيتها الاوراق التى انتزعت من كتاب مس اميلى بارتون ، منقوصا منها الأحرف التى ركبت منها كلمات الخطابات السابقة .

نظرت مسز ماربل الى مشدوهة ثم قالت فى صوت خافت :

- ولكن هذا فظيع ... فظيع جدا حقا .

وأقبلت مسز دين كالتروب عندئذ وقالت .

- ماذا جرى يا جين ؟

تمتمت مس ماربل فى صوت حزين تقول :

- يا الهى ... يا الهى ... ما العمل ؟

وكررت مسز دين كالتروب سؤالها ، ولكن مس ماربل لم تسمعها ، وتابعت فكرتها قائلة :

- في الإمكان عمل شئ طبعا ، ولكن ما هو ؟ ... انني عجوز جدا ، وجاهلة ... وغبية كذلك .

ولم أدر ماذا أقول ،وتنفست الصعداء وأنا أرى مسز دين كالتروب تجر صديقتها .

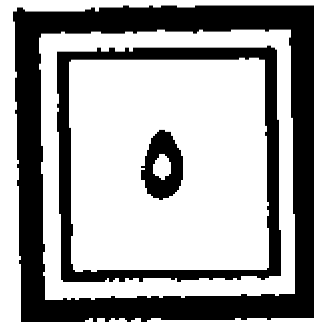
ولكنني رأيت مس ماربل بعد ظهر ذلك اليوم ، وكان الوقت متأخرا جدا ، وكنت عائدا الى البيت . وكانت واقفة فوق الجسر الصغير ، على مقربة من بيت مسز كليفت . وكانت تتحدث مع ميجان . وأردت أن أتحدث مع هذه الأخيرة فأسرعت الخطى نحوهما ، ولكنني ما كدت اقترب منهما حتى استدارت ميجان وابتعدت . وهممت بأن اتبعها وأنا غاضب ، ولكن مس ماربل اعترضت طريقي قائلة :

- دعني أقول لك كلمة يا مستر بورتون ... لا تحاول اللحاق بها الآن ... انني أعرف ما أقول ... دع لها شجاعتها .

ونزلت عند رأيها يخامرني احساس بان مس ماربل تعرف شيئا لا أعرفه انا . وأحسست بالقلق دون أن أدرى لماذا .

ولم أعد الى البيت ، وانما استدرت وعدت الى شارع هاى ستريت ، حيث مشيت طويلا دون غاية معروفة ، ولا أستطيع أن أقول ماذا كنت انتظر ولا فيم كنت أفكر .

ورأيت مس ماربل في هذه الاثناء للمرة الثالثة ، وكانت خارجة ، هذه المرة ، من قسم البوليس .



من أين تأتى مخاوفنا ، وكيف تتشكل ، وأين تختفى قبل أن تتكشف لنا ؟

عبارة واحدة سمعتها وسجلتها فى ذهنى ، ولم أستطع ان أنساها .

" خذنى من هنا ... أرجوك ... لو تعرف كم أشعر بأننى شقية وتعيسة ؟

لماذا قالت ميجان هذه العبارة ، ولم هذا الأحساس بأنها شقية وتعيسة ؟

أكان ذلك لأنها تشعر بأنها مسئولة عن موت مسز سيمنجتون بطريقة ما ؟

ميجان ؟ ... هذا محال . لا يمكن أن تكون ميجان هى التى كتبت تلك الخطابات الفظيعة المملوءة بالبذاءات والقذارات .

ومع ذلك فقد قال أوين جريفيث أن حالة كهذه وقعت فى الاقليم المجاور فى العام الماضى ، وكانت كاتبة الخطابات فيها فتاة محترمة ومهذبة لا يمكن أن يتطرق الشك اليها كلا ، كلا . لا يمكن ان تكون ميجان .

ولكننى سمعت ان أباها كان وغدا شريرا ، فهل يمكن ان تكون الوراثة قد لعبت دورها ؟

" اننى لست المرأة التى تنفعك ، فاننى اعرف الكراهية ولا اعرف الحب . "

ميجان ... حبيبتى ميجان ... لا يمكن ان يكون ذلك ... ليست عندها الشجاعة الكافية لكى تقدم على مثل هذا العمل . ولكن ماذا قالت تلك العانس العجوز ... ان ميجان شجاعة ... ولماذا يجب أن تكون شجاعة ؟ ... لماذا ؟

عذبتنى كل هذه الأفكار ، ولكن سرعان ما انتهت الأزمة .

ومع ذلك فقد احسست بحاجتى لأن أرى ميجان،فخرجت فى الساعة التاسعة والنصف من مساء نفس ذلك اليوم لكى أذهب الى بيت سيمنجتون .

وخطرت لى وأنا فى الطريق ، فكرة جديدة عن امرأة لم يفكر فيها أحد . هذا ما لم يكن ناش قد ...

ولكن كان ذلك بعيد الاحتمال ... بل كان محالا ... كنت اعتقد ذلك من قبل ولكننى لا ادرى الآن ... ربما يكون بعيد الاحتمال ... ولكنه محال حتما .

وأسرعت الخطى ، لأنه كان من الضروري أن أرى ميجان فورا .

واجتزت الباب الحديدى وتقدمت نحو البيت . وكان الظلام حالكا ، والرؤية متعذرة. وبدأ الرذاذ يهطل وكانت احدى نوافذ الدور الأرضى مضاءة . وترددت لحظة ثم ، بدلا من ان امضى الى الباب العمومى انحرفت نحو الضوء . وتقدمت متلصصا ، وابعدت بعض الاغصان فى حذر وانا منحن قليلا . وكانت الستائر متباعدة ، والجزء العلوى من الشباك مفتوحا . كانت الرؤية واضحة ، واستطعت ان أرى وان اسمع فى وضوح .

رأيت أمامى سيمنجتون مضطجعا فى مقعد كبير ، والسى هولاند ترفو قميص طفل ، وسمعتها تقول :

- اذا أردت رأيى صراحة يامستر سيمنجتون فاننى اظن أن الصغيرين قد أصبحا الآن فى سن تؤهلهما للالتحاق بمدرسة داخلية . وأعترف ان هذا يحزننى كثيرا ، فأنت تعلم كم أحبهما معا .

قال سيمنجتون :

- أظن أنك على حق فيما يتعلق ببريان . سأدخله كلية وينهايز التى تلقيت فيها العلم ، أما كولان فما زال صغيرا ، وسأبقيه بالبيت سنة أخرى .

- اننى أفهمك تماما .

كان حديثا بسيطا لا تشوبه شائبة .

وانفتح الباب ، ودخلت ميجان . وقرأت فى عينيها العزم والحزم ، الشئ الذى أدهشنى . وكان وجهها هادئا ، ولكن عينيها كانتا متألقتين بشكل غريب . كان يبدو أنها شديدة الثقة بنفسها ، وانها لم تعد طفلة كما كانت من قبل .

وتحدثت الى ابيها ، ولاحظت أنهالم تقل له " أبى " ولا " مستر " ، وانما أكتفت بأن قالت له :

انني أريد أن أتحدث اليك ... اليك وحدك .

قطب سيمنجتون حاجبيه مشدوها . وصمدت ميجان أمام نظرته ، فتحول الى مس هولاند وقال :

- هل لك يا مس هولاند ...

وكانت هذه الأخيرة قد نهضت واقفة ، فسارت نحو الباب . وابتعدت ميجان لكى تفسح لها الطريق . واذ بلغت ألسى الباب توقفت لحظة وألقت نظرة من فوق كتفها . ومرة أخرى لاحظت نقاء قسماتها . كانت جميلة جدا ... جميلة كتمثال من تماثيل اليونان القديمة وعندما اتذكرها الآن أراها فى مخيلتى على هذه الصورة دائما ... رأسها مائل قليلا ووجهها هادئ ويدها على اكرة الباب والقميص فى يدها الأخرى وقد ضمتها الى نهدها .

وخرجت وأغلقت الباب .

وقال سيمنجتون وهو بادى الانفعال :

- ماذا هناك يا ميجان ... ماذا تريدين ؟

كانت تقف أمامه بجوار المنضدة . ومرة أخرى قرأت امارات العزم البارد على وجهها . واكتشفت فى نفس الوقت نوعا من القسوة لم أكن اعرف فيها .

فتحت فمها لكى تنطق بتلك الكلمات التى جمدت الدم فى عروقى :

- اريد نقودا .

قال سيمنجتون فى حدة :

- أما كان فى مقدورك الانتظار حتى صباح الغد لكى تطلبى ما تريدين ؟ ... ولكن ما معنى هذا ؟ ... ألا تكفيك نقودك ؟

كانت كلمات عادية ... كلمات رجل لا يعرف معنى العاطفة ولا يرفض سماع كلمات معقولة . واجابته ميجان :

- ولكننى اريد نقودا كثيرة .

اعتدل فى جلسته وقال :

- ستبلغين الرشد بعد شهور . وسيعطيك الوصى الثروة التى خلفتها لك جدتك .

قالت :

- انك لم تفهمنى ... انما اريد النقود منك أنت .

وتلاحقت كلماتها وهى تستطرد قائلة :

- لم يقل لى أحد الكثير عن أبى لأنهم أخفوا حقيقته عنى ، ولكننى أعرف تماما انه حكم عليه بالسجن ، وأعرف لماذا ... لأنه مارس الابتزاز .

وأردفت تقول بعد صمت قصير :

- حسنا ... انتى ابنته ، ولا ريب اننى ورثت عنه خصاله . ومهما يكن فاننى اطلب منك نقودا ، وسوف تعطينى ما أريد لأنك اذا رفضت فسأقول ما رأيتك تفعل فى اليوم الذى ماتت فيه أمى ... اننى اتكلم عن القرص الذى به المسحوق الذى تناولته .

وسكتت . وكانت قد نطقت بالكلمات الأخيرة فى بطء وفى وضوح تام . وبقى سيمنجتون هادئا جدا ثم قال فى هدوء :

- لا أفهم ماذا تعنين .

أجابت :

- بل تفهم تماما ما أعنيه .

وكانت تبتسم ابتسامة شريرة .

ونهض سيمنجتون . ومضى الى مكتبه وأخرج دفتر شيكاته من جيبه ، وحرر شيكا منها أعطاه لميجان بعد أن جففه بالنشافة ، وقال :

- انك فتاة كبيرة الآن ، وافهم تماما رغبتك فى شراء ما تريدين من ثياب وحلى .

أما الباقى فلا أدرى عم تتكلمين . ولكن لا أهمية لهذا . ومهما يكن فإليك هذا الشيك .

نظرت الى الشيك فاحصة ثم قالت :

- شكرا ... هذا يكفى .

دارت على عقبيها ، وغادرت الغرفة يتابعها سيمنجتون بعينيه .

وعندما استدار أدهشنى ما ارتسم على وجهه . واتيت بحركة الى الامام على غير غرض منى ، ولكن حركتى هذه لم تلبث أن توقفت ، فقد انزاحت الأغصان التى ابعدتها منذ لحظات ، وأحاطت بى ذراعان قويتان فى نفس الوقت الذى سمعت فيه ناش يهمس فى اذنى قائلا :

- تمالك روعك يا بورتون ... بحق الله !

ثم ارتد الى الوراء فى حذر كبير وهو يجرنى من ذراعى . وعندما خرجنا الى الطريق اعتدل فى وقفته وجفف جبينه وقال :

- كان لابد أن تأتى طبعا !

لم أرد على مزاحه ، وانما قلت :

- ان هذه الفتاة ليست فى أمان يا ناش . ألم تر وجه سيمنجتون ؟ ... لا يمكن أن نتركها هنا .

أمسكنى القوميسير من ذراعى وقال :

- سوف تصغى الى الآن يا بورتون.



أصغيت اليه . ولكن لم يرق لى ما قال بيد اننى اضطررت أن أوافقه ، واشترطت

عليه أن أكون موجودا ، فقبل مشترطا بدوره أن أطيعه .

وهكذا دخلت البيت من الباب الخلفى معه ومع باركنز .

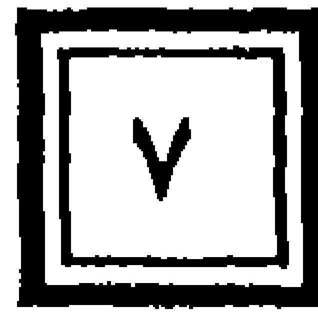
واختبأت مع ناش خلف ستارة من القطيفة فى طرقة الدور الأول . وعندما دقت ساعة الردهة دقتين ، خرج سيمنجتون من غرفته ومضى الى غرفة ميجان .

ولم أتحرك ، فقد كنت أعرف ان الرقيب باركنز كان يختبئ فى الغرفة ، وكنت أعرف عنه انه رجل شجاع يعرف مهنته .

وانتظرت بقلب واجف . ورأيت سيمنجتون يخرج من الغرفة ويهبط السلم وهو يحمل ميجان بين ذراعيه.وتبعناه ، أنا وناش ، عن بعد .

ودخل سيمنجتون المطبخ . وكان قد فرغ من وضع رأسها فى الفرن وفتح صنبور الغاز عندما دخلنا . وأضاء ناش النور .

وكانت هذه نهاية ريتشارد سيمنجتون ، ولم يفكر حتى فى الدفاع عن نفسه ، فقد قامر وخسر ، وكان يعرف ذلك فلم يقاوم .



أغلقت صنبور الغاز على الفور ، وحملت ميجان الى الدور الأول حيث أرقدتها فى فراشها .

وجلست على حافة الفراش ، فى انتظار أن تسترد وعيها ، وأنا ألعن ناش من وقت لآخر ، وكان يقف بجوارى .

- كيف تعرف أنها ستسترد وعيها .. أقول لك أن هذه كانت مغامرة كبيرة .

ولكنه طمأننى بقوله :

- إنما هى غائبة عن الوعى تحت تأثير مخدر دس فى اللبن الذى تتناوله كل ليلة

قبل أن تنام . لايمكن أن يكون الأمر غير ذلك ، فإن سيمنجتون لم يكن يستطيع المغامرة بأن يدس لها السم . أن إلقاء القبض على مس جريفيث يسوى أموره بطريقة رائعة ، وكان يهمه ألا تقع بالبيت ميتة أخرى غامضة . لم يكن يريد موتا عنيفا ولا حالة تسمم ، لأن فى ذلك كل الخطر . ولكن أن تحزن فتاة لموت أمها وتنتحر بأن تضع رأسها فى فرن غاز ، فليس فى ذلك مايريب . سيقول الناس أنها لم تكن طبيعية ، وأن نهاية أمها المفجعة أصابتها بصدمة .

نظرت إلىّ ميجان ، وكانت لاتزال نائمة وقلت :

- ألا ترى أنها لاتستيقظ سريعا ؟

- هل سمعت ماقال جريفيث ؟ .. أن القلب والنبض سليمان . وماعلينا إلا أن ننتظر .

وسرت بجسد ميجان قشعريرة فى هذه اللحظة . وتمتمت ببضع كلمات ، فأسرع القوميسير بالأنسحاب فى هدوء .

وفتحت عينيها وقالت :

- جيرى !

- حبيبتى !

- هل أجدت القيام بدورى ؟

- كما لو أنك تمارسين الأبتزاز منذ المهد .

أطبقت جفنيها وقالت :

- أننى كتبت لك أمس .. فقد أردت أن تعرف،إذا ماحدث وساءت الأمور . ولكن غلبنى النعاس فلم أستطع أن أفرغ من رسالتى .. إنها هنا .. تحت مرفقة الورق .

ومضيت فأخذت الرسالة ثم عدت وجلست بجوارها لكى أقرأها .

حبيبى جيرى ..

أخذت كتاب شكسبير الآن وقرأت القصيدة التى تبدأ هكذا :

أنت لذهنى كالنور للحياة .

وكلمسة المطرة الحلوة للأرض المشتاقة للماء . وأكتشفت عندئذ أننى أحبك ، لأن هذا هو مايدور فى ذهنى .

* * *

الفصل الرابع عشر

قالت مسز دين كالتروب :

- هاأنت ترى أخيرا أننى كنت على حق باستنتاجى بالخبير الذى حدثتك عنه .

نظرت إليها مدهوشا . كنا جلوسا فى صالونها . وكانت الدنيا تمطر سيلا فى الخارج والنار تتأجج فى المدفأة . وقلت :

- الخبير الذى أتيت به ؟ .. ولكن أين هو ؟ .. وماذا أفعل ؟

قالت مسز دين كالتروب :

- قلت خبيرا .. ولكنه ليس رجلا .. إنما هو امرأة .

وأشارت بيدها إلى مس ماربل ، وكانت تزاول شغل الأبرة ، وعادت تقول :

- نعم . أنها هى الخبير .. مس ماربل .. جين ماربل . انظر إليها جيدا . أنها تعرف كل أنواع شرور البشر .

احتجت العانس العجوز قائلة :

- فى هذا القول مبالغة كبيرة .

ابدا يا عزيزتى .. هذه هى الحقيقة الحقة .

قالت مس ماربل :

يجب ان اعترف بأن الذى يعيش طوال عمره فى قرية صغيرة يتعلم الكثير عن طبيعة البشر . والمهم عند التحقيق فى احدى القضايا دراستها دون رأى مسبق ، فان أغلب الجرائم بسيطة ، وهذا هو الحال فى هذه الجريمة بالذات ، فقد كانت واضحة ومنطقية وجلية وفظيعة طبعا .

- بل كانت بشعة .

- كانت الحقيقة ساطعة للعيان ، وانت قد احسست بها تماما يا مستر بورتون .

- أنا ؟ ..

- أجل . انك قلت لى كل شئ ، فانك قد أدركت العلاقات القائمة بين كل عناصر القضية ، ولكنك افتقدت الثقة في نفسك ، لأنك لم تحاول ان تفسر ما كنت تحس به ، مثال ذلك تلك العبارة التى اثارت حنقك :

" لا يوجد دخان من غير نار " . ان هذه العبارة خدعت الجميع فوجهوا أبحاثهم وجهة أخرى ، وأولوا أهتمامهم للخطابات المجهولة فى حين انه لم تكن هناك خطابات مجهولة .

- اسمحى لى يا عزيزتى مس ماربل ان اقول لك العكس ، فقد تلقيت أنا خطابا منها .

- أعرف ذلك ، ولكنها لم تكن خطابات مجهولة حقا . وصديقتنا العزيزة مود الجالسة معنا حدست ذلك فحتى فى ليمستوك توجد فضائح كثيرة وأستطيع ان أوكد لك ان نساء البلدة يعرفنها جيدا . ولو ان امرأة هى التى كتبت هذه الخطابات لضمنتها فضائح حقيقية . أما الرجل فانه لا يهتم عادة بالاشاعات التى تدور ، خصوصا اذا كان رجلا متحفظا كثير المشاغل كمستر سيمنتجون ، ولو ان هذه الخطابات كانت خطابات مجهولة حقا وان امرأة كتبتها لكانت أكثر دقة بكثير . فاذا نحن أهملنا الدخان فماذا يبقى ؟ .. أعنى اذا أهملنا الخطابات لكى نهتم بالنار فاننا نجد أنفسنا أمام حقائق واقعية . وانا أبالغ حين أقول حقائق لأننا لا نجد أنفسنا الا أمام حقيقة واحدة وهى ان مسز سيمنجتون ماتت .

ومن الطبيعى ان نتساءل من الذى يستفيد من موت مسز سيمنجتون . وفى حالة كهذه فان أول شخص نفكر فيه هو الزوج طبعا ، فهل هناك سبب أو دافع يجعله يتمنى

موت زوجته ؟ .. وبطبيعة الحال يتجه فكرنا عندئذ الى امرأة أخرى .

وعرفت بين ما عرفت ان فى بيته مربية شابة وجميلة جدا كان الامر واضحا ، فإن رجلا ذا طبيعة قاسية وقلب بلا أحساس متزوج بامرأة عليلة ومريضة بالأعصاب لابد ان يعشق فتاة رائعة الجمال تقيم معهما .

وعندما يعشق الرجل وهو فى سن متقدمة فان المرض يكون خطيرا . ويمكن ان نتكلم عن الجنون عندئذ . ومستر سيمنجتون ، كما استطعت ان أعلم لم يكن أبدا بالرجل الشهم . كانت صفاته سلبية ، ولم يستطع مقاومة الجنون الذى بدأ يتملكه . وفى مدينة صغيرة كليمستوك لم يكن للمسألة التى تشغله الا حل واحد وهو ان مسز سيمنجتون يجب ان تختفى . كان سيمنجتون يريد ان يتزوج المربية ، ولما كانت هذه الأخيرة فتاة شريفة لا تقبل ان تقف موقفا زائفا كان هو نفسه لا يرضاه . ولما كان يحب ولديه وليس فى نيته ان يتخلى عنهما فقد أراد كل شئ .. أراد البيت والولدين واحترام مواطنيه والسى . ولكى يحصل على كل هذا كان لابد له من ان يدفع الثمن وأن يقتل .

وابدى الآن رأيى المتواضع فأقول انه تصرف بحذق كبير ، فبفضل تجاربه فى القضايا الجنائية لم يكن يجهل أن المرأة المتزوجة اذا ماتت فى ظروف مشبوهة فإن الشبهات ترقى الى الزوج على الفور . وكان يعرف أن الموت اذا حدث عن طريق السم فان هناك أحتمالات لاستخراج الجثة فى أى وقت ، ولهذا قرر ان يبدو موت زوجته كحادث عرضى جاء نتيجة لأحداث أخرى فاختلق قصة الخطابات المجهولة ، وكان من الحذق والدهاء بحيث حمل رجال البوليس على الاشتباه بأن امرأة هى التى تكتبها ، وكانوا على حق فى ظنهم هذا لأنه حرر تلك الخطابات على منوال تلك التى سبق ان حررتها امرأة فى مقاطعة مجاورة فى العام الماضى .

بآلته الى المعهد النسائي ، وانتهز فرصة تركته فيها مس بارتون وحده في غرفة الصالون ببيتها وانتزع بضع أوراق من كتاب عرف كيف يختاره ، فان من النادر ان يفتح أحد كتبا من كتب المواعظ .

وأخيرا ، وبعد أن عمل على انتشار قصة الخطابات المجهولة ، انتقل الى الخطوة الضرورية ، وقرر أن يقوم بضربته في أصيل يوم خرجت فيه المربية مع الولدين وابنة زوجته والخادمتان لأنه كان يوم أجازتهما وما كان في مقدوره طبعا ان يتوقع ان تتشاجر أجنس مع صديقها وتعود إلى البيت .

سألتها جوانا :

- ولكن ماذا رأت بالذات ؟

- لا أدري . ولكنني اعتقد طواعية أنها لم تر شيئا على الاطلاق .

- اذن فقد قتلها بدون سبب ؟

- اظن انها بقيت أمام النافذة تنتظر أن يأتي صديقها لمصالحتها . وعندما أقول انها لم تر شيئا فانني أعنى أنها لم تر أي أحد يأتي الى البيت ، لا موزع البريد ولا أي أحد آخر . ولما كانت الفتاة المسكينة بليدة ذهنيا فقد كان لابد لها من بعض الوقت لكي تفهم غرابة الأمر ، لأن مسز سيمنجتون ، كما يبدو ، لم تتلق خطابا مجهولا بعد ظهر ذلك اليوم .

- أو لم تتلق خطابا حقا ؟

- طبعا لا .ان الجريمة ارتكبت بكل بساطة كما قلت لك . فقد وضع سيمنجتون السيانور في القرص الذي كان يجب ان تتناوله في ذلك اليوم ، وهو القرص الذي كان فوق القمة . ولم يبق عليه بعد ذلك الا أن يعود الى البيت قبل الجميع ، أو على الأقل مع مس هولاند ، وأن ينادي زوجته ويسرع الى غرفتها ويضع قليلا من السيانور في الكوب الذي شربت منه بضع جرعات لكي تبتلع القرص ، وان يلقي في الموقد الخطاب

المجهول بعد ان يجعده ويضع فى يد زوجته قصاصة من الورق كانت قد كتبت عليها عبارة " اننى لا أستطيع " .

وتحولت مس ماربل الى وقالت :

- وقد أصبت انت أيضا فى هذه النقطة ، فان هذه القصاصة كانت غير معقولة ، فإن الأشخاص الذين ينتحرون لا يكتبون رسائلهم الأخيرة على قصاصة من الورق وانما على ورقة كاملة ، وفى أغلب الاحيان يضعون هذه الورقة فى مظروف . اما تلك القصاصة فقد كان امرها مزعجا ، وقد أحسست انت بذلك .

قلت :

- أؤكد انك تحسنين الظن كثيرا بمواهبى . ان هذه القصاصة لم توح الى بشئ .

- لا تعتقد هذا يا مستر بورتون ، والا فلماذا أحدثت فيك الكلمة التى تركتها اختك بجوار التليفون كل هذا التأثير .

قلت فى بطء :

- " إذا تكلم جريفيث فقل له اننى لا أستطيع يوم الثلاثاء " .. نفس الكلمات .

ابتسمت مس ماربل وقالت :

- ها أنت ادركت يا مستر بورتون . لقد وجد مستر سيمنجتون رسالة مكتوبة بنفس الطريقة وادرك الفائدة التى تعود عليه منها على الفور ، فقطع الورقة التى بها هذه الكلمات ليستخدمها فى اللحظة المناسبة ، وبهذا تترك زوجته رسالتها الأخيرة بخط يدها .

قلت :

- هل تكشفت لك مواهبى الخارقة بطريقة أخرى ؟

ابتسمت مس ماربل مرة أخرى وقالت :

- انك ارشدتنى الى الطريق الصحيح ، فانك جمعت الحقائق حسب تسلسلها

المنطقى . وانتهيت بأن اطلعتنى على أهم شئ وهو أن مس هولاند لم تتلق خطابات اطلاقا

- خطر لى أمس انها هى التى ترسل الخطابات وان هذا هو السبب فى انها لم تتلق منها شيئا

هزت مس ماربل رأسها وقالت :

- كلا . ان الذين يكتبون الخطابات المجهولة يحرصون على ان يرسلوا لأنفسهم بعضها ، واظن انهم يرضون بذلك نزعة فى أنفسهم . ولكن حقيقة ان مس هولاند لم تتلق شيئا من هذه الخطابات بدت لى أهميتها لأننى رأيت فيها دلالة ثمينة . وكانت هذه نقطة ضعف فى سيمنجتون وغلطته الوحيدة ، فانه لم يستطع ان يقنع نفسه بكتابة خطاب به عبارات نابية للمرأة التى يحبها ، وهذه سمة غريبة من سمات علم النفس ، ونقطة طيبة له ولكنها نقطة تسببت فى ضياعه

سألتها جوانا :

- ولكنه قتل أجنس أيضا ، فهل كان ذلك ضروريا ؟

أجابت مس ماربل :

- ربما . هناك شئ لا تستطيعين ان تفهميه يا عزيزتى ، وهو أن القاتل ، بعد ان يرتكب جريمته الأولى لا يفكر بعد ذلك تفكيرا سليما ولا يقدر الحقائق طبقا لأهميتها الحقيقية . ان سيمنجتون سمع بكل تأكيد أجنس وهى تتكلم فى التليفون مع مارى . قالت لها ان هناك شيئا يزعجها منذ موت سيدتها ، وانه شئ لا تفهمه ، وادرك بذلك انه يواجه خطرا ، فان تلك الغبية الصغيرة رأت شيئا وتعرف شيئا ما م

- ولكن متى قتلها ؟ .. يبدو انه لم يغادر مكتبه طوال فترة بعد الظهر .

- لا ريب انه قتلها قبل ان يمضى الى مكتبه . كانت مس هولاند فى غرفة الطعام أو ربما كانت فى المطبخ . فخرج الى الردهة وفتح الباب ثم صفقه لكى يوهمها بأنه

خرج ، ثم مضى واختبأ فى خزانة الثياب . ولم تلبث ان بقيت أجنس وحدها فى البيت، فخرج وقرع جرس الباب العمومى ثم أسرع الى مخبئه من جديد . وعندما همت أجنس بأن تفتح الباب فاجأها من الخلف وضربها على رأسها ثم قتلها وأخفى جثتها فى الدولاب ، وأسرع بعد ذلك الى مكتبه متأخرا قليلا ، ولكن أحدا لم يلحظ ذلك .

صاحت مسز دين كالتروب :

- يا له من وحش !

قالت جوانا :

- تبقى بعد ذلك ايميه جريفيث . أعرف ان البوليس عثر على المدق الذى سرق من معمل أوين وانه عثر على السيخ كذلك . فهل تعرفون اين وجدوهما ؟ .. فى احد الادراج الخاصة بالملفات القديمة فى مكتب سيمنجتون . ولكنه لم يقتل أجنس بهذا المدق ، وانما بثقالة ساعة ثقيلة ، وقد وجدها رجال البوليس ملوثة بالدم فى نفس الدرج.

ويعتقد البوليس انه سرق المدق فى اليوم الذى ألقوا فيه القبض على ايميه جريفيث وانه أخفى الأوراق المنزوعة من الكتاب عندها فى نفس اليوم . وأعود الآن الى سؤالى الأول . ما وضع ايميه جريفيث فى كل هذا . لقد رآها رجال البوليس وهى تكتب ذلك الخطاب .

قالت مس ماربل :

- انها كتبته فعلا . وهذا أمر لا يقبل الشك .

- ولكن لماذا ؟

- يا إلهى ألم تدركى يا عزيزتى ان ايميه جريفيث احبت سيمنجتون طوال حياتها .

واستطردت مس ماربل تقول :

- كانا صديقين منذ وقت طويل ، وأظن ان ايميه قالت لنفسها ، بعد ان ماتت مسز سيمنجتون ، انها ذات يوم ..

وسعلت مس ماربل ولم تكمل عبارتها ثم استأنفت تقول :

- ثم راح الجميع يتكلمون فى البلدة عن مطامح السى هولاند . ودمى قلب ايميه ورأت فى مس هولاند دساسة تريد ان تسرق حب الرجل الذى لا تستحقه ، وانتهت بأن غلبها الاغراء . لماذا لا تضيف الى الخطابات المجهولة خطابا يخيف السى ويحملها على مغادرة البلدة . بدا لها أن هذا الأمر لا خطر منه وحسبت انها توخت كل الحذر . ولكن عندما تلقت السى ذلك الخطاب ذهبت به الى سيمنجتون ، وأدرك هذا الأخير على الفور ان ايميه هى التى كتبته كما ادرك الامكانيات التى سنحت له لكى يفرغ من هذه القضية نهائيا ويفلت من العقاب . ولم يكن هذا العمل جميلا منه فى الواقع ، ولكنه كان خائفا ، وكان يعلم ان البوليس لن يتخلى عن هذه القضية ما لم يهتد الى كاتب الخطابات ، وعندما ذهب بالخطاب الى ناش وقال له هذا الأخير ان ايميه شوهدت وهى تكتبه رأى انها فرصة لن تعوض .

ولهذا ذهب وأسرته الصغيرة لتناول الشاى عند آل جريفيث ، ومضى رأسا من مكتبه وحافظته فى يده وفيها الصفحات المنزوعة من الكتاب ، ودبر امره لكى يخفيها فى الدولاب ، تحت السلم ، وهى فكرة صائبة منه لأن المخبأ أعاد الى الأذهان المكان الذى عثروا فيه على جثة الخادمة ، ولأنه كان واثقا انه سيكون أول مكان يفكر البوليس فى تفتيشه .

قلت :

- هناك شئ يا مس ماربل لن أستطيع ان أغفره لك ، وهو ذلك الدور الخطر الذى حملت ميجان على القيام به .

- كان لابد من عمل شئ أيها الشاب ، فان القاتل كان قويا جدا ومعدوم الضمير. ولم يكن هناك أى دليل ضده ، وكنت بحاجة الى شخص لكى يساعدنى .. شخص شجاع وذكى وقد وجدت هذا الشخص .

- ولكن الخطر كان جسيما بالنسبة لها :

- نعم . كان الأمر خطيرا ، ولكننا لم نخلق لكى نهرب من الخطر يا مستر بورتون خصوصا عندما يتعلق الأمر بانقاذ حياة واحد منا برئ .. هل فهمتنى ؟

* * *

الفصل الخامس عشر

شارع هاى ستريت ، فى الصباح

خرجت مس اميلى بارتون من محل البدال وبيدها شبكة التموين ، وكانت متوردة الوجنتين ، متألقة العينين وصاحت تقول :

– عزيزى مستر بورتون .. أننى لاأستطيع الصبر هل تعرف اننى سأقوم برحلة بحرية ؟

– أرجو أن تستمتعى بها تماما .

– سوف أستمتع بها طبعا . ماكنت لأجرؤ ابدا على السفر وحدى ، ولكن تدبر كل شىء فجأة كما لو أن القدر أراد أن يتدخل ، فمنذ وقت طويل ومواردى لاتسمح لى بالأحتفاظ بليتل/فورز ، وكنت أعلم ذلك جيدا ، ولكتنى لم أشأ أن أرى البيت ينتقل إلى أيد غريبة . وها أنت ذا قد اشتريته لكى تقيم فيه ، أنت وميجان . وهذا شىء آخر . وإذا ايميه تخرج من هذه المحنة الفظيعة ولاتدرى ماذا تفعل ، لأن أخاها سيتزوج ولايمكن أن تتصور كم سررت عندما عرفت انكما قررتما الأستقرار هنا . ولهذا قبلت ايميه أن تأتى معى . وسنتغيب مدة طويلة ، بل أن من المحتمل . وخافتت من صوتها واستطردت :

– من المحتمل أن نطوف بالعالم ، فأننى أشعر بالأطمئنان مع ايميه لأنها تعرف كيف تدبر الأمور . وسيكون ذلك رائعا . ألا ترى أن كل هذا جميل حقا ؟

فكرت لمجرد لحظة خاطفة فى مسز سيمنجتون واجنس وادلى ، وكل منهما ترقد فى قبر صغير بليمستوك ، وتساءلت هل يمكن أن يكون هذا رأيهما ؟ ولكننى لم ألبث

أن تذكرت أن صديق أجنس قد أهملها وهجرها وأن مسز سيمنجتون لم تكن رقيقة مع ميجان ، وأنه مقدر علينا جميعا أن نموت ذات يوم ، ولهذا أكدت لمس اميلى الظريفة أن كل شيء أصبح على مايرام .

وبينما كنت أقترب من الباب الحديدى لبيت سيمنجتون خرجت ميجان وجاءت للحاق بى ، يتقدمها كلب ضخم كاد أن يوقعنى فى حماسه المفرط لأظهار مودته .

وقالت ميجان :

- أليس جميلا .

- ولكنه متحمس جدا .. أهو لنا ؟

- نعم . أنه هدية جوانا بمناسبة زواجنا . أنهم دللونا جميعا . لقد أرسلت لنا مس ماربل شالا جميلا من الصوف ، وأهدانا مستر باى طاقما ثمينا للشاى ، وأرسلت السى هذا السخان ...

- السى هولاند !

- نعم . أنها التحقت بعيادة طبيب أسنان ويبدو أنها مسرورة جدا .. ولكن ماذا كنت أقول ؟

- أنك كنت تحصين الهدايا التى جاءتنا بمناسبة زواجنا . يجب أن تتوخى الحذر لأنه لابد لنا من اعادتها إذا ماغيرت رأيك .

- لن أغير رأيى . ولكن ماذا هناك أيضا . آه . أن مسز دين كالتروب أرسلت جعرانا مصريا .

- أنها امرأة غريبة الأطوار .

- وأرسلت لنا مارى مفرشا جميلا لمنضدة الشاى . وقادتنى ميجان إلى البيت وهى تقول :

ولكن هناك شيئا لاأستطيع أن أفهمه . لقد أرسلت جوانا الكلب وفى عنقه طوق

وسلسلة وأرسلت فى نفس الوقت طوقا آخر وسلسلة ثانية ، فما معنى هذا ؟

قلت :

- هذه دعابة صغيرة من جوانا . وسأفسرها لك .. أنها تقصد أنك ستطوقيننى بهما .

تمت بحمد الله



مجموعة قصص أجاثا كريستى

ترجمة الأستاذ / محمد عبد المنعم جلال

* جريمة فى العراق
* العميل السرى
* أدلة الجريمة
* اختطاف رئيس الوزراء
* قتيل فى المترو
* الرسائل السوداء
* التضحية الكبري
* ذكريات
* سر التوأمين
* جريمة ممثلة
* اللغز المثير
* القاتل الغامض
* جريمة فوق السحاب
* الجريمة المعقدة
* المتهمة البريئة
* الجريمة الكاملة
* مغامرات بوارو
* الساحرة
* ابواب القدر
* القضية الكبرى

المو
بالمملكة الع
مكتبة د
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض

المركز العربي للنشر والتوزيع
مكتبة معروف إخوان
اسكندرية - ٤ ش سعد زغلول - ت : ٨١٠٨٢٨
القاهرة - ٤٣ ب ش رمسيس - ت : ٥٧٤٣٦١١